٢٢٨٨
T

القصد الإلهي

من خلق الإنسان

www.christianlib.com

للقديس

غريغوريوس النيسي

٢٩٥ / الأصول
٢٢٨٨ / ١
٤١ب / ١٧ب

القصد الإلهي

من خلق الإنسان

للقديس غريغوريوس النيسي

ترجمه عن اليونانية

دكتور

سعيد حكيم

الكتاب : القصد الإلهي من خلق الإنسان

المؤلف : دكتور سعيد حكيم يعقوب

الناشر : دكتور سعيد حكيم يعقوب

تصميم الغلاف
فصل الألوان : جذور ٢٦٣٣٨١٣٧

المطبعة : جي سي سنتر - ١٤ محمود حافظ ميدان سفير.
ت: ٢٦٣٣٨١٣٧

الطبعة : الأولى ٢٠١٤

رقم الإيداع : ٢٠١٤/٢٢٣١٨

كل حقوق الطبع والنشر محفوظة سواء ورقيًا أو الكترونيًا أو على شبكة الأنترنيت

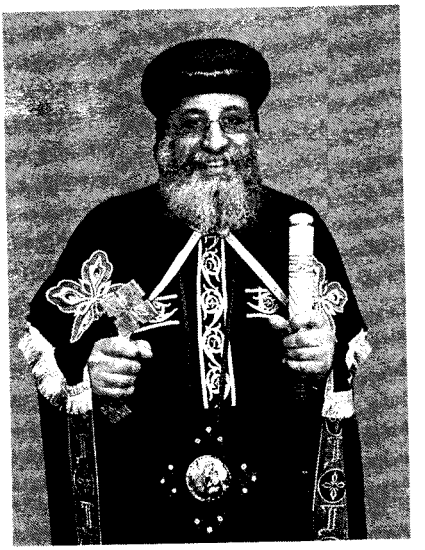

قداسة البابا تواضروس الثاني

بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

فهرس المحتويات

القديس غريغوريوس النيسى (٣٣٥-٣٩٤) ٦

مقدمة: ١١

القصد الإلهي من خلق الإنسان: ٢١

الهدف من الخلق: ٢١

الجهاد المرتبط بالنعمة: ٢٨

حفظ الوصايا: ٣٢

إنكار الذات: ٣٥

حفظ النفس بلالوم: ٤٢

ثمار الفضيلة: ٤٤

المحبة تاج كل الفضائل: ٤٨

الغنى الروحي: ٥٣

التجرد الحقيقي: ٥٧

مشورة الله الصالحة: ٦٣

فحص النفس: ٦٧

مخافة الله: ٦٩

الصلاة الدائمة وتعزيات الروح القدس: ٧٢

عمل القادة الروحيين: ٧٦

الكمال الروحي: ٧٩

تحمّل الآلام: ٨٢

فهرس لبعض الكلمات الواردة بالنص: ٨٦

القديس غريغوريوس النيسى (٣٣٥-٣٩٤)

هو الأخ الأصغر للقديس باسيليوس الكبير. وُلد في قيصرية كبادوكية سنة ٣٣٥م. وقد أهّلته دراساته المتنوعة في أثينا أن يكون ذا ثقافة لآهوتية عميقة، كما هو واضح من أسلوب كتاباته المتميز. عمل القديس غريغوريوس النيسى لفترة قصيرة بالخطابة، ولكنه بعد نصيحة من صديقه القديس غريغوريوس اللاهوتى ذهب إلى أحد الأديرة التي أسسها اخوه القديس باسيليوس الكبير. ثم بعد ذلك رُسم، على غير إرادته، أُسقفاً لبلدة نيس سنة ٣٧١م.

وضع القديس غريغوريوس النيسى كل اهتمامه في رعاية المحتاجين، وتحصين المؤمنين بالكلمة المستقيمة والتعليم الصحيح. وكان هدفه الوحيد هو قيادة النفوس إلى المسيح، إذ هو الطريق الوحيد الذي يستطيع أن يقود البشر إلى الحياة الأبدية، والتمتع بخيرات الدهر الآتي. وبسبب ثباته في الحق وتمسكه به، صار هدفاً للأريوسيين الذين أدانوه في مجمع محلى بمدينة نيس وأُبعد عن كرسيه. إلاّ أنه بعد وفاة الإمبراطور فالنس سنة ٣٧٨م عاد إلى كرسيه مرة أخرى، وبعد عام سنة ٣٧٩م شارك في مجمع

أنطاكية ضد أبوليناريوس، وكان له دورًا فعّالاً في دحض آرائه الهرطوقية. ولم يغادر المدينة على الفور بل بقى هناك أشهر قليلة. وفي سنة ٣٨١م شارك في المجمع المسكونى الثانى بالقسطنطينية ولعب دورًا هامًا في المناقشات التي دارت بالمجمع، وقد وضع كتبًا لاهوتية عميقة عن ألوهية الروح القدس وعقيدة الثالوث القدوس. تنيح سنة ٣٩٤م، وتحتفل الكنيسة بتذكاره في ٢٦ هاتور الموافق ٥ ديسمبر من كل عام.

كتاباته التي حُفظت:

كتابات عقائدية:

١ - ضد أفنوميوس وهو عمل مكون من أربعة أجزاء، وقد كتبه لكى يُفند ويدحض آراءه.

٢ - ضد أبوليناريوس: وفيه يفند ويرد على آراء أبوليناريوس ويبرهن على حقيقة التجسد الإلهى.

٣ - ضد المكدونيين: تحدث فيه عن ألوهية الروح القدس.

٤ - عظات تعليميه للموعوظين: وهذا التعليم يُشكِّل شرحًا منظمًا للإيمان الأرثوذكسى. الجزء الأول منه يتعلق بعقيدة الثالوث، أما الجزء الثانى فله علاقة

بعقيدة الخريستولوجي (طبيعة المسيح)، وفيه يؤكد على أن الخلاص الذي ناله الإنسان قد جاء نتيجة تجسد الكلمة. الجزء الثالث يتحدث فيه **عن المعمودية والافخارستيا.**

٥ ـ وقد كتب القديس غريغوريوس النيسى أربعة رسائل صغيرة عن عقيدة الثالوث وهى:

+ إلى أفستاسيوس عن الثالوث.
+ إلى أحد الوثنيين عن وحدة الجوهر.
+ إلى أفلافيوس، على أنه لا يوجد ثلاثة آلهة.
+ إلى سيمبليكيوس، عن الإيمان.

٦ ـ عن النفس والقيامة.

بعد عودته من مجمع أنطاكية سنة ٣٧٩م، وجد أخته ماكرينا على فراش الموت، ودار بينهما نقاش سجّله القديس غريغوريوس في شكل حوار. وكان محتوى هذا الحوار يدور حول حلول المشاكلات الكبرى في الحياة، وحول النفس، والموت والخلود، والقيامة.

٧ ـ كتب ضد الإيمان بالقضاء والقدر والمحتوم، وفيه يقاوم إيمان البعض بالنجوم والفلك، ويؤكد على أن الأبراج الفلكية لا تؤثر في الإنسان عند ميلاده.

تفاسير:

+ كتب رسالتين تفسيريتين أرسلهما إلى أخوه القديس بطرس (أسقف سابستيا): عن خلق الإنسان، حيث يفسر الآية ٢٦ من الاصحاح الاول من سفر التكوين. بعد ذلك كتب عن ستة أيام الخليقة، والذي أكمل فيه عمل اخيه القديس باسيليوس الكبير عن الخليقة، ويشرح آراءه ويُزيل أى لبث حول نص سفر التكوين.

+ عن حياة موسى النبي ويتكون من مدخل في الحياة السرائرية مع عرض لشخصية موسى النبى.

+ تفسير العدد ١٢ من الإصحاح ٢٨ من سفر صموئيل الأول.

+ سفر الجامعة (٨ عظات).

+ نشيد الأنشاد (١٥ عظة).

+ في الصلاة (٥ عظات).

+ في التطويبات (٨ عظات).

+ تفسير رسالة كورنثوس الأولى (عظتان).

+ مقال عن المزامير.

نسكيات:

+ كتب عن البتولية، حيث يرى القديس غريغوريوس النيسى أن البتولية هى الطريق الذي من خلاله ينزل الله إلى الأرض، ويصعد الإنسان إلى السماء. وكنموذج للبتولية الحقيقية، يذكر المسيح له المجد ووالدة الإله العذراء القديسة مريم.

+ عن أعمال المسيحيين.

+ عن الكمال، وأن بداية ونهاية الكمال هو المسيح.

+ عن القصد الإلهي من الخلق.

+ عن حياة ماكرينا.

مقالات:

كتب القديس غريغوريوس مقالات عقائدية، وأخلاقية، واحتفالية (أى في الأعياد الكنسية)، وأيضًا مقالات مديح، كمديح اسطفانوس أول الشهداء، ومديح في الشهيد ثيودورس، ومديح في القديس غريغوريوس صانع العجائب، وفي الأربعين شهيد، وفي القديس باسيليوس الكبير.

رسائل:

ومن بين الرسائل التي كتبها حُفظت ٣٠ رسالة تناولت موضوعات متنوعة.

مقدمة عامة

مقدمة

يُعتبر القديس غريغوريوس النيسي واحد من أهم آباء الكنيسة الذي ساهم بكتاباته وعظاته في تنوير شعبه ورعيته، بل والمسيحيين عامةً في كل أرجاء المسكونة، بمباديء الإيمان المسيحي، وضرورة أن يسعى الإنسان المسيحي ليصل إلى مرحلة الكمال الروحي، والذي أفرد له عظة طويلة تحدث فيها عن أن النفس عندما تتمكن من التخلص من أَسر الخطية وتتحرر من شهواتها، عندئذٍ تبدأ في إرتفاعها وتشعر بحضور الله الذي يرافقها ويقودها في مسيرتها التصاعدية، هكذا فقط تدرك النفس أنها مُنقادة بعمل روح الله داخلها وتصير مسكنًا له.

وفي هذه العظة (الكمال الروحي) أيضًا يهتم القديس غريغوريوس النيسي بالتأكيد على العمل المشترك بين الروح القدس وجهاد الإنسان الروحي، إذ من هنا تبدا المسيرة نحو الكمال. بهذا العمل المشترك يصير الإنسان نقيًا متحررًا من الأُطر البشرية التي تحدد وجوده كإنسان، وهذه هي ملامح وسمات الحياة الجديدة بحسب رؤية القديس غريغوريوس النيسي.

لذلك فإن عمل الخلاص هو عمل مستمر ويتحقق في المعمودية التي ينالها الإنسان، حيث يشترك في موت المسيح وقيامته، ويصبح إنسانًا جديدًا بالكلية. فالمعمودية تعني موت الفكر العتيق، ونمو الفكر الجديد. هذا من ناحية، ومن ناحية آخرى يؤكد على أن سر الإفخارستيا يمنح الطعام الروحي الذي يسند الإنسان في جهاده الروحي، أي في مسيرته نحو الكمال. هكذا يُطعَّم المؤمن في جسد المسيح والذي هو الكنيسة ويصبح عضوًا فاعلاً في هذا الجسد، ويشارك في الحياة الجديدة، وينعم بكل ما في هذه الحياة من عطايا وهبات جديدة.

ويَعتِبر القديس غريغوريوس النيسي أن نقاوة القلب والتحرر من فساد الخطية هي أول مراحل المسيرة الروحية نحو الكمال. ويرى أن الخلاص من الخطية يبدأ بسر المعمودية، فالمعمودية هي ميلاد ثاني وإستنارة، بها يولد الإنسان روحيًا ويدخل في مجال الحياة الجديدة. فإنضمام الإنسان للحياة الجديدة تجعله يتطلع نحو الله بصفة دائمة، ويصير له دالة أمام الله. ولكن تبقى الحاجة إلى الجهاد

الروحي أمر هام وضروري في هذه المسيرة نحو الكمال، وهو جهاد دائم لا ينقطع لأن المعمودية بحسب رأيه تُحقِق فقط الإنقطاع عن إعتياد الأمور الشريرة، وليس زوال الخطية أو الميل نحوها. لذلك فإن الجهاد الروحي هو إحتياج أساسي للمؤمن، ومن أجل هذا يقول القديس غريغوريوس النيسي " خذوا الموهبة وقدموا عملاً".

ويُعلن القديس غريغوريوس النيسي في كتاباته بأنه يكتب لكي يتجاوب مع نصائح ومطالب أشخاص يحبهم ويقدّرهم، لكي يساعدهم في تثبيت إيمانهم، ويشبع شهوتهم الصالحة للمعرفة. ويُعَتبر هذا العمل الذي نحن بصدده " القصد الإلهي من خلق الإنسان" والذي كتُب حوالي سنة ٣٩٠م أو بعدها بقليل، إستجابة لرجاء من بعض القادة الروحيين الذين طلبوا منه أن يكتب لهم عن هدف الله من خلق الإنسان، وهدف الإنسان في هذه الحياة، وقد أجاب بأن هدف الإنسان هو الوصول إلى حالة الكمال الروحي، والتي تتحقق بالتجرد الحقيقي عن كل أمور هذا العالم الزائل بكل ما فيه من

شهوات، وذلك من خلال حفظ النفس والجسد بلا لوم إلى يوم مجيء الرب.

أيضًا يقول إن عشاق الحقيقة، وهم سائرون في هذه المسيرة نحو الكمال ينبغي أن يتحصنوا بالإيمان الراسخ القوي والرجاء اليقيني، واللذان يشكلان شرطين أساسيين لتحقيق الكمال الروحي والعودة إلى الحالة الفردوسية الأولى. ولتحقيق هذا الأمر يجب على كل إنسان أن يتحرر من سطوة أمور هذا العالم الحاضر، بل وينكر ذاته، ويخضع فقط لمشيئة الله والتي هي صالحة في كل الأحوال. إن التجرد الحقيقي يتجلى، كما يقول القديس غريغوريوس النيسي، في رفض الخضوع لمشيئة الذات، وإستبدالها بالخضوع للمشيئة الإلهية. وحين يصل الإنسان إلى حالة التجرد الحقيقي والكامل، يكون قد وصل إلى حالة الكمال الروحي، وتشبَّه بسيده الذي " لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً لِلّهِ. لكِنَّهُ **أَخْلَى نَفْسَهُ**، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ"[1].

---

[1] في ٢:٦-٨.

هذا هو الفكر الذي كان في المسيح يسوع، كما يقول الرسول بولس، والذي يطلب منَّا أن نتمثل به " فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هذَا الْفِكْرُ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ أَيْضًا"[٢]. إذًا إن أراد أحد أن يكتمل في المسيح، فيجب عليه أن يُخلي نفسه تمامًا، ويحيا لحساب الآخر، هكذا فقط تتحقق " الصورة والمثال"، فنحن صورة المسيح الذي أخلى نفسه، ويجب أن نتمثل به، حتى يتحقق الهدف من وجودنا في هذه الحياة.

لقد خلق الله الإنسان، ليعكس صورته في هذا العالم، ويؤكد حضوره فعلاً لا قولاً فقط. فالله هو العامل في كل إنسان من أجل إعلان مجده وبهائه للجميع، وهكذا يُستعلن الملكوت حقًا ويتجلى حضور الله وسط العالم من خلال أبنائه الساعين دومًا نحو معرفة الحقيقة، وإعلان الحق.

هكذا يقول الرسول بولس: " لأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَامِلُ فِيكُمْ أَنْ تُرِيدُوا وَأَنْ تَعْمَلُوا مِنْ أَجْلِ الْمَسَرَّةِ"[٣]. وأيضًا يقول القديس يوحنا الإنجيلي: " نَعْلَمُ أَنَّنَا نَحْنُ

---

[٢] في٢:٥.

[٣] في٢:١٣.

مِنَ اللّهِ"[٤]، وأن هذا الإله المحب قد: " عَرَّفَنَا بِسِرِّ مَشِيئَتِهِ، حَسَبَ مَسَرَّتِهِ **الَّتِي قَصَدَهَا فِي نَفْسِهِ**، لِتَدْبِيرِ مِلْءِ الأَزْمِنَةِ، لِيَجْمَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ، مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، فِي ذَاكَ الَّذِي فِيهِ أَيْضًا نِلْنَا نَصِيبًا، مُعَيَّنِينَ سَابِقًا **حَسَبَ قَصْدِ الَّذِي يَعْمَلُ كُلَّ شَيْءٍ** حَسَبَ رَأْيِ مَشِيئَتِهِ، لِنَكُونَ لِمَدْحِ مَجْدِهِ، نَحْنُ الَّذِينَ قَدْ سَبَقَ رَجَاؤُنَا فِي الْمَسِيحِ"[٥].

إذًا فقد بات من الواضح أن قصد الله بحسب كلام الرسول بولس أن نكون نحن سفراء حقيقيين لله في هذا العالم، مُعبرين عنه بشكل حقيقي، سالكين في طرقه على الدوام، لأننا قد عَرَفنَا الحق، إذ قد حفظنا وصاياه، وهي ليست ثقيلة كما أكد القديس غريغوريوس النيسي في هذا العمل، ووصاياه تكمُل في المحبة التي أعلنها لنا ربنا يسوع المسيح، نحن الذين قد سبق رجاؤنا فيه كما يقول القديس بولس. لذلك يقول القديس يوحنا البشير " وَبِهذَا نَعْرِفُ أَنَّنَا قَدْ عَرَفْنَاهُ: إِنْ **حَفِظْنَا وَصَايَاهُ**، وَأَمَّا مَنْ حَفِظَ كَلِمَتَهُ، فَحَقًّا فِي هذَا قَدْ **تَكَمَّلَتْ**

---

[٤] ١يو٥:١٩.

[٥] أف١:٩:١٢.

مَحَبَّةُ اللهِ بِهذَا نَعْرِفُ أَنَّنَا فِيهِ"[٦]. هذا هو قصد الله من جهة الإنسان أن يتكمل في المحبة، أي أن يصير كاملاً في المسيح، الذي أخلى نفسه لأجل خلاص كل أحد، لنصير نحن مشابهين صورته، كما يقول الرسول بولس عن الذين سبق الله فعينَّهم " لأَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ"[٧].

ولذلك كان الرسول بولس متيقنًا من جهة محبة الله التي أعلنها في المسيح، أنه: " لاَ مَوْتَ وَلاَ حَيَاةَ، وَلاَ مَلاَئِكَةَ وَلاَ رُؤَسَاءَ وَلاَ قُوَّاتٍ، وَلاَ أُمُورَ حَاضِرَةً وَلاَ مُسْتَقْبَلَةً، وَلاَ عُلْوَ وَلاَ عُمْقَ، وَلاَ خَلِيقَةً أُخْرَى، تَقْدِرُ أَنْ تَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا"[٨]. وهذا عينه ما قد أفصح عنه في رسالته إلى اهل فيلبي بقوله: " مَا كَانَ لِي رِبْحًا، فَهذَا قَدْ حَسِبْتُهُ مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ خَسَارَةً. بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضًا خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ

---

[٦] ١يو٢:٣، ٥.

[٧] رو٨:٢٩.

[٨] رو٨:٣٨،٣٩.

يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ، وَأُوجَدَ فِيهِ،"[٩].

هذه هي الحقيقة التي أكد عليها في كل رسائله، أن الحياة هي المسيح، ومَن يُريد أن ينعم بالحياة الحقيقية فما عليه إلا الثبات في المسيح الذي " مِنْ مِلْئِهِ نَحْنُ جَمِيعًا أَخَذْنَا، وَنِعْمَةً فَوْقَ نِعْمَةٍ"[١٠]، وأيضًا "فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ"[١١].

فالكمال الروحي لن يتحقق إلا بالثبات في المسيح القادر أن يُكملنا جميعًا في شخصه القدوس، والذي منه " تُسَمَّى كُلُّ عَشِيرَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَعَلَى الأَرْضِ"[١٢]. هذا هو قصد الدهور الذي قصده الله في المسيح يسوع، أن يحل المسيح بالإيمان في قلوب الجميع، "حتى يَعْرِفُوا مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ الْفَائِقَةَ الْمَعْرِفَةِ"، ثم يضيف " لِكَيْ **تَمْتَلِئُوا إِلَى كُلِّ مِلْءِ اللهِ**". وهكذا سننتهي جميعًا " إِلَى **إِنْسَانٍ كَامِلٍ**. إِلَى **قِيَاسِ قَامَةِ مِلْءِ الْمَسِيحِ**"[١٣].

---

[٩] أف ٣:٧-٨.

[١٠] يو ١:١٦.

[١١] يو ١:٤.

[١٢] أف ٣:١٥.

[١٣] أف ٤:١٣.

إذًا فالإتحاد بالمسيح يقود بالضرورة إلى مرحلة الكمال الروحي، كما يقول القديس غريغوريوس النيسي، لأن إتحاد الإنسان بالله إتحادًا كاملاً، تحقق أولاً في شخص (**الكلمة** المتجسد)، وهكذا صار للإنسان إمكانية أن يتحد بالله عن طريق إتحاده بالمسيح له المجد، لأن إتحاد الطبيعتين في المسيح، يعطي الإمكانية لإتحاد المؤمنين بالله، وهذا هو الهدف الأسمى والنهائي في مسيرة الإنسان نحو الكمال. فنحن " شركاء الطبيعة الإلهية" بهذا المعنى، وهذه الشركة في نمو مستمر، وتكتمل بالجهاد الروحي والشركة في الأسرار المقدسة.

إن إتحاد النفس بالله بحسب رأي القديس غريغوريوس النيسي ليس له نهاية، بل هو إرتفاع مستمر، وعلى قدر ما نتجرد، ونحيا بالحب على مثال محبة المسيح الفائقة للبشر، على قدر ما نكتمل ويتحقق قصد الله من خلق الإنسان: " الْبَسُوا الْمَحَبَّةَ الَّتِي هِيَ رِبَاطُ الْكَمَالِ"[١٤]. هكذا أوضح الرسول بولس أن رباط الكمال هو المحبة، لأن "مَنْ

---

[١٤] كو٣:١٤.

لاَ يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ اللّٰهَ، لأَنَّ اللّٰهَ مَحَبَّةٌ"[١٥]. هذا يعني أن معرفة الله معرفة إختبارية، مرتبط بممارسة المحبة على مثال محبة المسيح.

إذًا فقصد الله من خلق الإنسان، أن يصل به إلى مرحلة الكمال الروحي، وهذه دعوته للجميع، كما جاء بالإصحاح الخامس من إنجيل معلمنا متى البشير: " فكونوا أنتم أيضًا كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل" (مت٥:٤٨). الكمال هنا، هو كمال في المحبة الروحية، تمامًا كما أحب المسيح وبذل ذاته من أجل خلاص كل البشر. وهذا الكمال يعتمد بالأساس على عطية الروح القدس الذي يشعر المؤمنين به، بدفء محبة الله داخلهم، فيلتهبون بالشوق إليه، ويشتاقون على الدوام لإقتناء الصلاح الإلهي.

تمت الترجمة عن النص اليوناني المنشور في مجموعة أباء الكنيسة اليونانيين (ΕΠΗ) الصادرة في تسالونيكي سنة ١٩٧٣ المجلد رقم ٨ ص ٢٨٧ إلى ٣٥١.

نضرع لإلهنا الصالح أن يهبنا كل عطايا الروح، نقاوة القلب، وطهارة الذهن، حتى نصل إلى الكمال الروحي الذي ننشده جميعًا.

---

[١٥] ١يو ٤:٨.

القصد الإلهي
من خلق الإنسان

القصد الإلهي

من خلق الإنسان

الهدف من الخلق:

إذا إبتعد المرء بفكره - ولو قليلاً - عن الأمور المختصة بالجسد، وتحرر من الشهوات المُذلة والحمقاء، وتواجه مع نفسه برؤية صافية ونقية، سيرى بكل وضوح أن محبة الله الفائقة نحونا، تتجلى في عمق طبيعتنا، بل وسيُدرك ما هو الهدف من الخلق. فعندما يفحص نفسه بهذه الطريقة، سيجد أن هناك توجّه غريزي وفطري - مطبوع داخل النفس - نحو الرغبة في عمل الخير وإقتناء الفضيلة، وأن ذلك العشق المبارك لتلك الصورة الطوباوية التي يتمثل بها الإنسان، هو قائم في عمق طبيعتنا، إلا أن بعض الأمور المضللة والخادعة التي تُثيرها الأشياء المرئية التي تتدفق علينا من خلال شهوة غير منضبطة ولذة مُرة، تخدع النفس غير الحذرة، الخاملة، والتي لا تُبالي أيضًا بأي شيء، فهي تفتنها وتجذبها إلى شرور مُخيفة، وتُفرز ملذات غريبة عن طبيعتها، وتلد موتًا لعشاقها.

لذلك فإن محبة مُخلصنا الفائقة للبشر، منحتنا نحن الذين إنتظرنا بشوق كبير معرفة الحقيقة، الدواء المحرر للنفوس. وهذه المحبة التي لمخلصنا، هي التي تُحررنا من الخداع الذي جذبنا وراءه، وهي التي أخمدت لهيب الفكر الوضيع والدنيء الذي للجسد. إلا أن النفس التي قَبِلت المعرفة وقد غمرها نور الحقيقة، أُقتيدت إلى التأله وإلى الخلاص من الفساد.

إذًا فأنتم قد قبلتم هذه المعرفة الثمينة، وتوجهتم نحو المحبة الإلهية بحسب الطبيعة التي أُعطيت للنفس، وقد تشاركتم في هذا بنية طيبة وضمير صالح، فلتكملوا الخُلُق الرسولي بأعمالكم، ولتستقبلوا مني الكلمة بشوق ورغبة لسماع الحقيقة، كقانون وكمرشد لمسيرة الحياة، وهي ستحملكم إلى الطريق المستقيم، وستُبين لكم هذه الأمور بالتدقيق[١٦]. فما هو الهدف الذي تُقدمه هذه الحياة لمن يُريد أن يتبعها؟ ما هو الصلاح، وما هي الأمور الحسنة، وما هي إرادة الله الكاملة؟ وما هو الطريق الذي يقود إلى هذا الهدف؟ وكيف ينبغي

---

[١٦] رو ٢:١٢.

لأولئك الذين يسلكون في هذا الطريق، أن يكون مترابطين فيما بينهم؟ كيف يجب على رؤساء خورس الحكماء[١٧]، أن يرشدوا الآخرين؟ وأي جهاد يجب أن يجتازوا أولئك الذين لديهم هدف الصعود إلى أعلى قمم الفضيلة، ويجعلوا نفوسهم مستحقة لقبول الروح؟

إذًا لأنكم طلبتم أن يكون هذا الكلام مُصاغًا، ليس شفويًا فقط، بل في نص مكتوب، حتي يكون مُتاحًا للقراءة داخل هذا النص. لتخرجونه من أدراجكم كلما إحتجتم إليه، فسأحاول أن أتجاوب مع غيرتكم هذه، على قدر ما يهبني الروح أن أتكلم. وهذا لأنني أعرف جيدًا أن عقيدة الإيمان المستقيم، هي قانون ثابت لتقواكم. وهذا القانون يشتمل على ألوهية الثالوث القدوس الأزلية التي لا تتغير على الإطلاق في أي شيء، وان الثالوث ذي الجوهر الواحد الذي له الإرادة الواحدة، والممجد على الدوام، هذا نحن نسجد له ونُمجده.

---

[١٧] كان القديس غريغوريوس النيسي دائمًا ما يدعو الأديرة بهذه التسمية خورس الحكماء.

وإعترافي هذا قد طرحته أمام شهود كثيرين[١٨]، بواسطة نعمة الروح القدس الذي غسلني في ينبوع السر، عالمًا بأنكم تحملون في أعماق نفسوكم إعتراف الإيمان الراسخ غير المتزعزع، الإيمان الثابت الذي يسمو نحو الصلاح والمسرة، وذلك خلال مسيرة حياتكم كلها. وهذا قد إستُعلن من خلال الحقائق الإيمانية التي إجتزتموها. لذلك أكتُبُ إليكم بإختصار عن مباديء التعاليم الأولى، وسأختار بعض المقاطع من الكتب المقدسة من خلال العطايا والإنعامات التي سبق الروح القدس وأعطاها لي. وبحسب ما يتطلبه الأمر، سأطرح كلام الكتاب نفسه، حتى يصير ما أقوله موضع تصديق، ويصبح رأييّ بشأن هذا الكلام واضحًا جليًا. وربما يُعتَقد أننا تركنا النعمة السماوية، وصرنا نحن أنفسنا كائنات مشوهه، بسبب فكر عديم القيمة وزهيد، وبسبب طرح نموذج للتقوى من خلال أفكار فلسفية لا علاقة لها بالتقوى والصلاح الإلهي، بل وتنم عن الجهل بالكتب المقدسة، والإنتفاخ الأجوف الذي لا يقود إلى أي شيء.

---

[١٨] أي أمام المجتمعين بمجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م، والذي أُضيف كبند في قانون الإيمان عن الروح القدس.

إذًا مَن يُريد أن يقدم نفسه وجسده لله بحسب قانون التقوى، ويقدم عبادته العقلية النقية[١٩]، يجب أن يأخذ الإيمان الصالح مُرشدًا لحياته، والذي يُقدَم لنا من خلال أصوات القديسين في الكتاب المقدس. هكذا سيُسلم نفسه إلى طريق الفضيلة في طاعة ونقاوة، مُحررًا نفسه من قيود الحياة الحاضرة، ومُخلصًا إياها من العبودية للأمور الزهيدة والباطلة، وسيُكرس حياته بكاملها لله فقط، بإيمانه وأسلوب حياته، وهو يعرف جيدًا أنه حينما يوجد إيمان ثابت، وتقوى، وحياة بلا لوم، فهناك تكون قوة المسيح.

وحيث توجد قوة المسيح، فلن يكون هناك أي شرور، ولن يسود علينا الموت الذي يسرق حياتنا. لأنه ليس للأرواح الشريرة أي قوة في ذاتها، حتى يمكنها أن تقاوم القوة الإلهية، إلا أن مخالفة الوصايا هي أيضًا في طبيعتها. وهذا ما عاناه قديمًا الإنسان الأول (أي آدم)، وكل الذين يتمثلون بعصيانه الآن، وذلك من خلال إرادتهم الحرة الكاملة.

---

[١٩] رو١٢: ١ " أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ، عِبَادَتَكُمُ الْعَقْلِيَّةَ".

أما جميع الذين يَقبلون الروح بنية طيبة، وقلب نقي، وضمير صالح، وإيمان مُعلن وكامل، دون أن يتلوث ضميرهم بأي وصمة، فإن قوة الروح القدس تنقيهم، كما يقول الرسول بولس " أَنَّ إِنْجِيلَنَا لَمْ يَصِرْ لَكُمْ بِالْكَلاَمِ فَقَطْ، بَلْ بِالْقُوَّةِ أَيْضًا، وَبِالرُّوحِ الْقُدُسِ، وَبِيَقِينٍ شَدِيدٍ، كَمَا تَعْرِفُونَ"[٢٠]، ويقول أيضًا: " وَلْتُحْفَظْ رُوحُكُمْ وَنَفْسُكُمْ وَجَسَدُكُمْ كَامِلَةً بِلاَ لَوْمٍ عِنْدَ مَجِيءِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ"[٢١]. هكذا أعطى الروح، للمستحقين في المعمودية ضمان الخلود، حتى أن الوزنة التي أُستؤمن عليها كل أحد من هؤلاء، ستحمل لهم الغنى غير المرئي من خلال أعمالهم التي عملوها في هذه الحياة.

بالحقيقة يا أخوتي، إنه لأمر عظيم، بل وعظيم جدًا، هو الإدراك الروحي الذي يتمتع به الذين يَقبلون المعمودية المقدسة بمخافة. إن إكتساب الغنى الروحي الوفير الذي ينساب دومًا في الذين يَقبلون النعمة التي بها صار الرسل القديسون كاملين، سيجعلهم يُقدّمون من ثمار ملئهم في كنائس المسيح.

---

[٢٠] ١تس١:٥.

[٢١] ١تس٥:٢٣.

ويبقى هذا الروح مُعينًا ومرافقًا لمن قبلوا عطيته بنقاوة بحسب مقدار الإيمان الذي أخذه كل وأحد. إن هذا الإيمان في حد ذاته يبني في كل أحد، الصلاح الذي يُساهم في جعل النفس مُستعدة لإعلان الإيمان العامل بالمحبة. وذلك بحسب كلمة الله التي تقول إن مَن أخذ الوزنة التي أُعطيت له، قد اخذها لكي يُتاجر بها[٢٢]. بمعنى أن نعمة الروح القدس تُعطىَ، لكي يسمو بها كل مَن يقبلها.

إذ يجب على النفس التي أُعيد ميلادها بقوة الله. أن تتغذى، حتى تكون مُتسقة ومُنسجمة مع الولادة الروحية، كذلك سيرويها جهاد الفضيلة بلا إنقطاع، بل وعطية الروح القدس الغنية أيضًا. أي كما أن أجساد الأطفال حديثي الولادة، لا تتوقف عند الليونة التي لهذا العمر، بل تتغذى فيما بعد بالأطعمة المناسبة، وتنمو بحسب الناموس الطبيعي، ووفقًا للمقدار الذي أُعطيَ لها، هكذا الأمر بالنسبة للنفس حديثة الولادة، والتي بشركتها مع الروح، يُمحَى منها المرض الذي سبَّبه العصيان، ويتجدد جمالها القديم، حتى لا تبقى في طفولة علي الدوام،

---

[٢٢] لو١٧:١٣.

وبلا فاعلية، وتكون في حالة جمود تام، وترقد كما لو كانت حديثة الولادة. يجب عليها، على العكس من ذلك، أنه تُطعم ذاتها بالأطعمة التي تُناسبها، وأن تنمو في كل فضيلة وكل جهاد، بالدرجة التي تتطلبها الطبيعة حتى تصبح بقوة الروح القدس والفضيلة التي تحملها في ذاتها، في وضع لا يقوى فيه اللص غير المرئي (أي الشيطان) على محاربتها، رغم أنه يستخدم حيَّلاً كثيرة غير ظاهرة.

الجهاد المرتبط بالنعمة:

إذًا يجب أن نتقدم دومًا نحو الكمال، أي الوصول إلي حالة الإنسان الكامل، بحسب كلام الرسول بولس "إِلَى أَنْ نَنْتَهِيَ جَمِيعُنَا إِلَى وَحْدَانِيَّةِ الإِيمَانِ وَمَعْرِفَةِ ابْنِ اللهِ. إِلَى **إِنْسَانٍ كَامِلٍ**. إِلَى قِيَاسِ قَامَةِ مِلْءِ الْمَسِيحِ. كَيْ لاَ نَكُونَ فِي مَا بَعْدُ أَطْفَالاً مُضْطَرِبِينَ وَمَحْمُولِينَ بِكُلِّ رِيحِ تَعْلِيمٍ، بِحِيلَةِ النَّاسِ، بِمَكْرٍ إِلَى مَكِيدَةِ الضَّلاَلِ. بَلْ **صَادِقِينَ فِي الْمَحَبَّةِ**، نَنْمُو فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَى ذَاكَ الَّذِي هُوَ الرَّأْسُ: الْمَسِيحُ"[٢٣]. ويقول في موضع أخر " وَلاَ تُشَاكِلُوا هذَا

---

[٢٣] أف٤: ١٣، ١٥.

الدَّهْرَ، بَلْ تَغَيَّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ، لِتَخْتَبِرُوا مَا هِيَ إِرَادَةُ اللهِ: الصَّالِحَةُ الْمَرْضِيَّةُ الْكَامِلَةُ"[٢٤].

ويعني بإرادة الله الكاملة، **أن النفس قد خُلقت مجبولة علي التقوى، وتُزيّنها نعمة الروح القدس، كزهرة رائعة الجمال،** لكن هذا أيضًا مرتبط بالجهاد الذي يمارسه الإنسان، فقياس مقدار النمو الروحي، يعتمد على عطية الروح القدس، وعلى جهاد المؤمن، لأن تجديد النفس يعتمد على مدى قبولنا لنعمة الروح القدس، لأنه هو الذي يعطيها هذا الجمال الذي يطلبه. وهذا يعني أنه علي قدر ما يتسع ويمتد جهادك للوصول إلى التقوى، بقدر ما تنمو وتتسع النفس بهذا الجهاد الذي يطلبه منَّا الرب: إذ يقول: " اجْتَهِدُوا أَنْ تَدْخُلُوا مِنَ الْبَابِ الضَّيِّقِ، فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كَثِيرِينَ سَيَطْلُبُونَ أَنْ يَدْخُلُوا وَلاَ يَقْدِرُونَ"[٢٥]، وأيضًا "مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ يُغْصَبُ، وَالْغَاصِبُونَ يَخْتَطِفُونَهُ"[٢٦] وأيضًا يقول: " الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى

---

[٢٤] رو ١٢:٢.

[٢٥] لو ١٣:٢٤، مت ٧:١٣.

[٢٦] مت ١١:١٢.

الْمُنْتَهَى فَهذَا يَخْلُصُ"[٢٧] وأيضًا "بِصَبْرِكُمُ اقْتَنُوا أَنْفُسَكُمْ"[٢٨]، ويقول الرسول بولس: "وَلْنُحَاضِرْ بِالصَّبْرِ فِي الْجِهَادِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَنَا"[٢٩]، وأيضًا " أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِينَ يَرْكُضُونَ فِي الْمَيْدَانِ جَمِيعُهُمْ يَرْكُضُونَ، وَلكِنَّ وَاحِدًا يَأْخُذُ الْجَعَالَةَ؟ هكَذَا ارْكُضُوا لِكَيْ تَنَالُوا"[٣٠] وفي موضع آخر يقول: " كَخُدَّامِ اللهِ فِي صَبْرٍ كَثِيرٍ"[٣١].

إذًا هذا هو السبب الذي يسمح لنا أن نركض، والذي يدفعنا إلى الإهتمام بالجهاد وبقوة، لأن مقياس عطية النعمة يتحدد وفقًا لجهاد الذي يستقبلها. إن الحياة الأبدية، والفرح السمائي الذي لا يُعبرَ عنه، يَهبنا إياه الروح القدس، أما ما يجعلنا مستحقين لقبول النعمة والتمتع بها، فهو عشق الجهاد الذي يُنشأه الإيمان فينا. فعندما يرافق عمل البر، نعمة الروح القدس في أي نفس، فإنها تمتليء بالحياة الطوباوية، أما إذا إن إنفصل إحدهما عن الأخر، فلن يُحقق هذا للنفس، أي ربح من أي نوع. لأنه ليس

---

[٢٧] مت١٠:٢٢.

[٢٨] لو٢١:١٩.

[٢٩] عب١٢:١.

[٣٠] ١كو٩:٢٤.

[٣١] ٢كو٦:٤.

من الطبيعي أن تزور نعمة الله النفوس التي تتجنب الخلاص، بل ومن غير الواضح أن قوة الفضيلة بمفردها، تستطيع أن تسمو بالنفوس إلي الحياة الحقيقية بدون نعمة الروح القدس. لأن المرنم يقول: " إِنْ لَمْ يَبْنِ الرَّبُّ الْبَيْتَ، فَبَاطِلاً يَتْعَبُ الْبَنَّاؤُونَ. إِنْ لَمْ يَحْفَظِ الرَّبُّ الْمَدِينَةَ، فَبَاطِلاً يَسْهَرُ الْحَارِسُ"[٣٢]، ويقول أيضًا: "لأَنَّهُ لَيْسَ بِسَيْفِهِمُ امْتَلَكُوا الأَرْضَ، وَلاَ ذِرَاعُهُمْ خَلَّصَتْهُمْ، لكِنْ يَمِينُكَ وَذِرَاعُكَ وَنُورُ وَجْهِكَ، لأَنَّكَ رَضِيتَ عَنْهُمْ" [٣٣]. ماذا يقصد بهذا الكلام؟ يقصد معونة إلهنا التي يقدمها للعاملين معه، بالإضافة إلي ذلك أنه لا ينبغي لأولئك الذين يعتقدون أن كل مجازاتهم تعتمد علي أتعابهم، أن يضعوا ثقتهم في إنجازاتهم البشرية، بل يجب عليهم أن يعتمدوا علي إرادة الله، وعلي رجائهم وأملهم النهائي في هذه الحياة.

---

[٣٢] مز ١٢٧:١.

[٣٣] مز ٤٤:٣.

حفظ الوصايا:

بيد أنه يجب على المؤمن أن يعرف " مَا هِيَ إِرَادَةُ اللهِ"[٣٤]، وأن يُعاين هذا الأمر، ويجب على مَن يشتهي الحياة الطوباوية، ويرغب في أن يُكرِّس ذاته لهذه الحياة، أن يُجاهد الجهاد الحسن. فإرادة الله الكاملة إذًا، هي أن نُنقي أنفسنا بمعونة النعمة الإلهية، من كل دنس، ونسمو بها فوق ملذات الجسد، ونقدمها نقية لله، برغبة وشوق لرؤية النور الذي لا يُعبرَ عنه. هؤلاء يُطوبهم الرب قائلاً: " طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ، لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللهَ"[٣٥]. وفي موضع آخر يطلب قائلاً: " فَكُونُوا أَنْتُمْ **كَامِلِينَ** كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ"[٣٦].

وعن هذا الكمال نفسه، يحثنا الرسول بولس أن نجاهد، قائلاً: " لِكَيْ نُحْضِرَ كُلَّ إِنْسَانٍ **كَامِلاً** فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. الأَمْرُ الَّذِي لأَجْلِهِ أَتْعَبُ أَيْضًا مُجَاهِدًا"[٣٧]. ويعلم داود النبي ملهمًا بالروح، بأن جميع الذين يريدون اتباع طريق الحكمة الحقيقية، عليهم

---

[٣٤] رو ١٢:٢.

[٣٥] مت ٥:٨.

[٣٦] مت ٥:٤٨.

[٣٧] كو ١:٢٨،٢٩.

أن يسلكوا في هذا الطريق، ويسعوا نحو تحقيق الهدف الأكمل، وأن يطلبوا من مانح العطايا أن يُعينهم على تحقيق كل ما يرشدهم إليه الروح، كما يقول النبي " لِيَكُنْ قَلْبِي **كَامِلاً** فِي فَرَائِضِكَ لِكَيْلاَ أَخْزَى"[٣٨]. هكذا يطلب منهم أن يَحترسوا ويخافوا لئلا يُصيبهم الخزي، وأن يتجنبوا إرتكاب الخطايا، وأن ينزعوا عنهم كل الشهوات الرديئه، كما لو كانت ثوبًا ملوثًا وبذيئًا. يقول أيضًا في موضع آخر: " حِينَئِذٍ لاَ أَخْزَى إِذَا نَظَرْتُ إِلَى كُلِّ وَصَايَاكَ"[٣٩]، أنظر كيف أن الروح القدس يُعطي الجرأة والدالة لتتميم الوصايا.

وأيضًا يقول: " قَلْبًا نَقِيًّا اخْلُقْ فِيَّ يَا اَللّٰهُ، وَرُوحًا مُسْتَقِيمًا جَدِّدْ فِي دَاخِلِي"[٤٠]. وأيضًا: "وَبِرُوحٍ مُنْتَدِبَةٍ اعْضُدْنِي"[٤١]. وأيضًا يتساءل: " مَنْ يَصْعَدُ إِلَى جَبَلِ الرَّبِّ؟ وَمَنْ يَقُومُ فِي مَوْضِعِ قُدْسِهِ؟" بعد ذلك يُجيب " اَلطَّاهِرُ الْيَدَيْنِ، وَالنَّقِيُّ الْقَلْبِ"[٤٢]. هذا النقي في

---

[٣٨] مز ١١٩:٨٠.
[٣٩] مز ١١٩:٦.
[٤٠] مز ٥١:١٠.
[٤١] مز ٥١:١٢.
[٤٢] مز ٢٤:٣-٤.

كل شيء، هو الذي يصعد إلى جبل الرب. فليس بالفكر ولا بالضمير، ولا بأعماله يستطيع أن يستر نفسه. إن كان مُصرًا على إرتكاب الشرور، أما الذي قَبِل الروح المدبر من خلال أعماله الصالحة، وأفكاره الحسنة، فهذا قد أعاد بناء قلبه الذي أفسدته الخطية. يتحدث القديس بولس عن العذراوية، فيقول لأولئك الذين إختاروا أن يعيشوا حياة البتولية، ويصف لهم كيف ينبغي أن تكون هذه الحياة، فيقول إن: " غَيْرُ الْمُتَزَوِّجَةِ تَهْتَمُّ فِي مَا لِلرَّبِّ لِتَكُونَ مُقَدَّسَةً جَسَدًا وَرُوحًا"[٤٣]. أي يجب أن تكون نقية النفس والجسد، وأن تبتعد بقدر ما تستطيع عن الخطية، سواء الظاهرة أم الخفية، هكذا يجب أن تبتعد بالكامل عن الخطايا التي تُرتكب بالأفعال وبالفكر. **لأن هدف النفس التي تُفضِّل البتولية، أن تقترب من الله، وأن تُصبح عروس المسيح.**

إذًا مَن يشتهي أن يكون له دالة وعشرة مع آخر، فيجب عليه أن يشكِّل أسلوب حياته عن طريق الإقتداء بالمسيح له المجد. وبناء على ذلك فمن

---

[٤٣] ١كو ٧: ٣٤.

الضرورة بمكان لأي عذراء[٤٤] ترغب وتتمنى أن تصير عروسًا للمسيح، أن تعكس جمال المسيح من خلال فضيلتها، بقدر ما تستطيع، لأنه لا يستطيع أي أحد أن يتحد بالنور، إن لم يُشرق مثل هذا النور أمام عينه. ماذا يقول الرسول يوحنا " وَكُلُّ مَنْ عِنْدَهُ هذَا الرَّجَاءُ بِهِ، يُطَهِّرُ نَفْسَهُ كَمَا هُوَ طَاهِرٌ"[٤٥]، ويقول الرسول بولس " كُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِي كَمَا أَنَا أَيْضًا بِالْمَسِيحِ"[٤٦].

إنكار الذات:

فالنفس التي تُريد أن تسمو نحو المجد الإلهي وأن تتحد بالمسيح، لأبد أن تنزع عنها كل خطية تظهر وتتضح من خلال الأفعال، وأقصد السرقة، السلب، الفسق، الطمع، الزنا، التشهير والسب، وكل هذا الكم من الشرور الواضحة، والخطية التي تجلس خفية داخل النفوس، دون أن يدرك الذين هم خارج أمرها، وهذه تفترس الإنسان بأسنانها المتوحشة و بشدة. هذه الخطية تتمثل في: الحسد، وعدم الإيمان

---

[٤٤] يستخدم القديس غريغوريوس النيسي مرات عديدة كلمة عذراء قاصدًا بها، النفس، وإعتبارها عروس المسيح.

[٤٥] ١يو٣:٣.

[٤٦] ١كو١١:١.

أو الإلحاد، الدناءة والوضاعة، الخداع والمكر، شهوة الأمور المنحرفة، البغضة، التباهي، الغرور، وكل هذا الكم من الشرور.

هذه الشرور والخطايا يُبغضها الكتاب بنفس القدر مع الخطايا الواضحة بشكل عام. وهو يمقتها، لأن هناك قرابة في ما بينهما، وتنبت من نفس البذرة التي للخطية.

لمن العظام التي أحصاها الرب؟ ألم يُحصي عظام البشر الذين يشعرون بالسعادة والرضا؟ وهل هناك مَن يُبغضه الرب أكثر من مقته للدَنِس، والقاتل؟ أَلم يكره المرايء والمخادع؟ لأن الكتاب يقول " رَجُلُ الدِّمَاءِ وَالْغِشِّ يَكْرَهُهُ الرَّبُّ"[٤٧]. أَلم يَحرِم داود أولئك الذين يتكلمون بلغة مزدوجة، لغة السلام، ولغة الشر إذ يقول " لاَ تَجْذِبْنِي مَعَ الأَشْرَارِ، وَمَعَ فَعَلَةِ الإِثْمِ الْمُخَاطِبِينَ أَصْحَابَهُمْ بِالسَّلاَمِ وَالشَّرُّ فِي قُلُوبِهِمْ"[٤٨]. وصرخ نحو الله قائلاً: " أَعْطِهِمْ حَسَبَ

---

[٤٧] مز ٥:٦.

[٤٨] مز ٢٨:٣.

فِعْلِهِمْ"[٤٩]. وأيضًا يقول: " بِالْقَلْبِ تَعْمَلُونَ شُرُورًا فِي الأَرْضِ"[٥٠].

إن حركة الخطية التي تتم في الخفاء يَدعوها الله، عملاً. لذلك يوصينا بألا نسعى نحو طلب مديح الناس، ولا نخزى أو نغضب من إهاناتهم. فكل مَن يرحم الفقير من أجل حب الظهور، والإعلان عن عطاياه بصوت مرتفع، في هذه الحياة الحاضرة، يقول عنهم الكتاب، أنهم محرومين من المكافآت السمائية.

إن كنت تطلب إعجاب الناس، وتُعطي لكي يُمجدونك، فتكون قد أخذت بمديح الناس لك، مكافأتك عن هذه الأعمال - التي هي حسنة في ذاتها - لأنك إستعرضت تقديم عمل الخير أمام الجميع. إذًا لا تطلب المجازاة في السماء، طالما أنك إحتفظت بهذه الأعمال هنا على الأرض، ولم تترجى كرامة من الله، مادمت قد أخذتها من الناس. هل تشتهي مجدًا أبديًا؟ لتكن أمور حياتك في الخفاء، والذي يرى ما يحدث في الخفاء سيجازيك عنها علنيةً.

---

[٤٩] مز ٢٨: ٤.

[٥٠] ٥٨: ٢.

هل تخشى من الخزي الأبدي؟ فلتخف من ذاك الذي سيكشف خفايا القلوب في يوم الدينونة.

لكن كيف يقول الرب " فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ"[٥١]. لأنه يقول إن مَن يتبع وصايا الله، يجب أن يفعل ما يفعله الله، مُتطلعًا نحوه على الدوام، لكي يحظى برضاه وحده، ولا يسعى لطلب أي مجد من الناس. بمعنى أن يتجنب مديحهم ويتجنب حب الظهور أمامهم، وأن يصير معروفًا للجميع بحياته المستقيمة وأعماله الحسنة، حتى يصبحون شهودًا لهذه الأعمال، فلم يقل " لكي يُعجَبوا بذاك الذي يُقدمها"، بل قال " لكي يمجدوا أباكم الذي في السموات". أي أنه يأمر بأن يُعطىَ كل المجد لله، ووفقًا لإرادة ذاك الذي يحقق كل عمل ويتممه، الذي يُقرر المكافأت عن اعمال الفضيلة. لذلك فإنه يأمرك بأن تتجنب مديح الناس في هذه الحياة الحاضرة. لكن كل مَن يطلب مجد الناس وتعتمد حياته على هذا المجد، فلن يُحرَم فقط من المجد الأبدي، بل لينتظر العقاب

---

[٥١] مت ٥:١٦.

أيضًا، لأن رب المجد يقول: " وَيْلٌ لَكُمْ إِذَا قَالَ فِيكُمْ جَمِيعُ النَّاسِ حَسَنًا"[٥٢].

إذًا لتتجنب كل كرامة إنسانية، والتي نهايتها خزي وهوان أبدي، ولتشتهي المجد السماوي، أي ذلك المجد الذي تحدث عنه داود النبي " منك وحدك مجديّ وعزيّ"[٥٣]، وأيضًا " تتمجد نفسي في الرب"[٥٤]. بل إن المطوب بولس لا يسمح لذاك الذي يأكل، بأن يتناول الطعام الذي أمامه بلامبالاة، بل يجب أولاً أن يُعطي المجد لمن أعطى وسائط الحياة[٥٥].

هكذا يسمح لنا أن نحتقر المجد الذي يأتي من الناس حتى النهاية، وأن نطلب فقط المجد الذي يأتي من الله، لأن هذا الإنسان هو الذي يدعوه الله، مؤمنًا، بينما ذاك الذي يشتهي الكرامة في هذه الحياة الحاضرة، يُحصى مع غير المؤمنين. لأنه يقول: " كَيْفَ تَقْدِرُونَ أَنْ تُؤْمِنُوا وَأَنْتُمْ تَقْبَلُونَ مَجْدًا بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَالْمَجْدُ الَّذِي مِنَ الإِلهِ الْوَاحِدِ

---

[٥٢] لو ٦:٢٦

[٥٣] مز ٢١:٢٦ (س)

[٥٤] مز ٣٣:٣ (س).

[٥٥] ١كو ١٠:٣١.

لَسْتُمْ تَطْلُبُونَهُ؟[٥٦]" الآن ما هي البغضة؟ إسمع القديس يوحنا الذي يقول: " كُلُّ مَنْ يُبْغِضُ أَخَاهُ فَهُوَ قَاتِلُ نَفْسٍ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ كُلَّ قَاتِلِ نَفْسٍ لَيْسَ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ ثَابِتَةٌ فِيهِ"[٥٧]. فذاك الذي يُبغض أخاه سيفقد الحياة الأبدية، مثل القاتل تمامًا، وربما يدعو الذي يبغض، قاتلاً لا ضابط له.

بمعنى أن ذاك الذي أهدر محبة القريب واستبعدها تمامًا، وأصبح القريب عدوا له، فمن الطبيعي أن يُحصى مع القتله، طالما أنه يحتفظ بعداوة لقريبة، خفيه. ومن حيث أنه لا يوجد أي فرق بين الخطايا الخفية والخطايا الظاهرة التي نراها، فهذا ما يُعلنه الرسول بولس بوضوح، فيُحصيها جميعًا معًا وبالتساوي. لأنه يقول: " وَكَمَا لَمْ يَسْتَحْسِنُوا أَنْ يُبْقُوا اللهَ فِي مَعْرِفَتِهِمْ، أَسْلَمَهُمُ اللهُ إِلَى ذِهْنٍ مَرْفُوضٍ لِيَفْعَلُوا مَا لاَ يَلِيقُ. مَمْلُوئِينَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ وَزِنًا وَشَرّ وَطَمَعٍ وَخُبْثٍ، مَشْحُونِينَ حَسَدًا وَقَتْلاً وَخِصَامًا وَمَكْرًا وَسُوءًا، نَمَّامِينَ مُفْتَرِينَ، مُبْغِضِينَ لِلهِ، ثَالِبِينَ مُتَعَظِّمِينَ مُدَّعِينَ، مُبْتَدِعِينَ شُرُورًا، غَيْرَ

---

[٥٦] يو٥:٤٤.

[٥٧] ١يو٣:١٥.

طَائِعِينَ لِلْوَالِدَيْنِ، بِلاَ فَهْمٍ وَلاَ عَهْدٍ وَلاَ حُنُوٍّ وَلاَ رِضىً وَلاَ رَحْمَةٍ. الَّذِينَ إِذْ عَرَفُوا حُكْمَ اللهِ أَنَّ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ مِثْلَ هذِهِ يَسْتَوْجِبُونَ الْمَوْتَ، لاَ يَفْعَلُونَهَا فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا يُسَرُّونَ بِالَّذِينَ يَعْمَلُونَ."[٥٨].

آرايت كيف أنه جَمَعَ رداءة الطبع والتباهي والمكر، والخطايا الأخرى الخفية، مع القتل والطمع وكل هذه الخطايا؟ وما الذي يَصرخ به الرب نحونا؟ يقول: " إِنَّ الْمُسْتَعْلِيَ عِنْدَ النَّاسِ هُوَ رِجْسٌ قُدَّامَ اللهِ"[٥٩]. وأيضًا يقول " لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يَتَّضِعُ وَمَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ يَرْتَفِعُ"[٦٠]. ويقول سفر الأمثال " مَكْرَهَةُ الرَّبِّ كُلُّ مُتَشَامِخِ الْقَلْبِ"[٦١].

ويستطيع المرء أن يجد في أسفار الكتاب المقدس الأخرى، مواضع كثيرة، تُدين الشهوات الرديئة التي تختفي داخل النفوس. وهي شهوات ثقيلة جدًا وصعبة الشفاء، ومتجذرة بعمق داخل النفوس، ولا يمكن أن ينتزعها أحد ويقتلعها من جذورها بالمحاولات الإنسانية فقط، إن لم ينل قوة الروح القدس كمعين

---

[٥٨] رو ١:٢٨.٣٢.

[٥٩] لو ١٦:١٥.

[٦٠] لو ١٤:١١.

[٦١] ام ١٦:٥.

له بالصلاة، لكي يسود فوق الخطية التي تسود داخله، كما يُعلِّم الروح بكلمات داود النبي " مِنَ الْخَطَايَا الْمُسْتَتِرَةِ أَبْرِئْنِي. أَيْضًا مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ احْفَظْ عَبْدَكَ"[٦٢].

حفظ النفس بلا لوم:

عنصران هما اللذان يشكلان أو يكونان الإنسان، النفس والجسد، احدهما (أي الجسد) يمثل الغلاف الخارجي، بينما النفس، تبقى داخلنا مادمنا على قيد الحياة. بالنسبة للجسد يجب أن نسهر لكي نصونه ونحفظه، طالما أنه هيكل الله، وأن نصلي لئلا يسقط، جرّاء أية خطية من الخطايا الظاهرة، فتهزه بشدة وتحطمه. لذلك كان الوعيد الذي أطلقه الرسول بولس، يُمثل تحذيرًا لكل المتهاونين إذ يقول: " إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُفْسِدُ هَيْكَلَ اللهِ فَسَيُفْسِدُهُ اللهُ، "[٦٣].

الآن فإن الفكر المقدس الذي يسكن الجسد، ينبغي أن نؤمنه بحراس كثيرين، لئلا يتسرب جمع من الخطايا إلى داخل النفس ويقضي على أفكارنا

---

[٦٢] مز ١٩:١٢،١٤.

[٦٣] ١كو ٣:١٧.

المقدسة، ويستعبد النفس ويملأها بالشهوات، ويسحبها نحو الخطايا الخفية هنا وهناك.

إذًا يجب على المرء أن يحفظ نفسه في أمان، متوجهًا نحوها بصفة دائمة، كأنه قائد الجند الذي يصرخ ويأمر، قائلاً أيها الإنسان " فَوْقَ كُلِّ تَحَفُّظٍ احْفَظْ قَلْبَكَ، لأَنَّ مِنْهُ مَخَارِجَ الْحَيَاةِ"[٦٤]. إن حافظ النفس هو الفكر النقي، المؤمَّن في خوف الله، وفي نعمة الروح القدس، وأعمال الفضيلة، ومَن يُسلِّح نفسه بهذه الأمور، يستطيع أن يصد وبكل سهولة سهام الطاغية المستبد (أي الشيطان)، والمكيدة. والشهوة، والكبرياء، والغضب، والحسد، وكل حركات الخطية الآخرى التي توجد داخلنا.

إن الفلاح الذي يزرع الفضيلة، يجب أن يكون بسيطًا وثابتًا، ويعرف كيف يُنمي ثمار التقوى، ويحرص على حياته حتى لا تنحرف أبدًا إلى طريق الشر، ولا يفصل الفكر التقوي عن الإيمان، بل أن يجعلهما معًا وحدة واحدة عديمة الخبرة في أهواء الشر الكائنة خارج طريقه. بالطبع من غير الممكن

---

[٦٤] أم ٤:٢٣.

للزوجة التي تعيش مع زوجها، وتلك التي تزني في زواجها، أن يترجيا نفس الأجر لحياتهما.

يقول المطوب موسى: " لاَ تَزْرَعْ حَقْلَكَ صِنْفَيْنِ، لِئَلاَّ يَتَقَدَّسَ الْمِلْءُ: الزَّرْعُ الَّذِي تَزْرَعُ وَمَحْصُولُ الْحَقْلِ. لا تَحْرُثْ عَلَى ثَوْرٍ وَحِمَارٍ مَعًا. لاَ تَلْبَسْ ثَوْبًا مُخْتَلَطًا صُوفًا وَكَتَّانًا مَعًا"[٦٥].

ثمار الفضيلة:

ماذا يريد موسي النبي أن يقول بهذه الألغاز؟ يريد أن يقول إنه لا ينبغي لأحد أن يزرع في النفس الواحدة الفضيلة والخطية، ولا أن يجعل الحياة تتسم بالمتناقضات، بمعنى أن يُنمي في النفس ذاتها، أشواكًا وحنطة، ولا أن تزني عروس المسيح مع اعداء المسيح، ولا أن تلد نورًا من ناحية، ومن ناحية أخرى تلد ظلامًا. لأن هذه الأمور لا تتوافق فيما بينها بحسب طبيعتها، فلا عناصر الفضيلة تتوافق مع عناصر الخطية. وأي توافق يمكن أن يوجد بين التعقل والإسراف أو الإتلاف؟ كيف يمكن أن يتشابه العدل مع الظلم؟ وأية علاقة للنور مع الظلمة؟

---

[٦٥] تث٢٢:٩،١١، لا١٩:١٩.

أَلا يتراجع الواحد دومًا أمام الآخر، أَلا يرفض أن يأتي في علاقة مع عدوه؟

إذًا يجب على فلاح الحياة الحكيم أن يُفجِّر آبار مياة الحياة، كما من مصدر مياة صالحة للشرب وحسنة الطعم، دون أية شوائب تُعكر صفوها، وأن يعرف فقط أعمال الله، ويجاهد في تتميم هذه الأعمال، ويهتم بها كل أيام حياته.

هكذا حتى وإن نبت خفية، فكر غريب عن ثمار الفضيلة، فذاك الذي يطَّلع على كل شيء، ينظر إلى أتعابك، وسينزع بقوته وعلى وجه السرعة، جذر الخداع والمراءاة لتلك الأفكار الغريبة قبل أن تنبت. لأن من يُظهِر صبرًا وإحتمالاً في جهاد الفضيلة، تفتقده سريعًا نعمة الروح القدس وتُبطل بذار الخطية، ولا مجال على الإطلاق أن تُخطىء النعمة هدفها، ولا تتجاهل وتترك الذي يقف دائمًا إلى جوار عرش الله، مظلومًا.

أنظر إلى أرملة الإنجيل التي لم ترفع شكواها وتعبر عن الظلم الكبير الذي وقع عليها إلى قاضي مُحب للناس مترفق بهم، بل إلى قاضٍ قاسٍ، إلا أن تُوسلاتها وإلحاحها الكثير في الطلب، وصبرها، غلب

جمود القاضي، ودفعته أن يُعاقِب مُقترف الظلم، إذًا لا تملَلْ ولا تتعب أنت أيضًا من أن تُصلي بلجاجة، لأنه إن كانت تلك التوسلات قد جعلت قاضيًا قاسيًا يلين، فكيف لنا أن نُبرر نحن أيضًا فقدان رجائنا في الصلاة لله الذي تعرف مراحمة دائمًا، طريقها إلى أولئك الذين يطلبونه؟ بل إن الرب نفسه يقبل لجاجتنا في الصلاة، ويحثنا على أن نُبدي إستعدادًا. لذلك يقول: "اسْمَعُوا مَا يَقُولُ قَاضِي الظُّلْمِ. أَفَلاَ يُنْصِفُ اللهُ مُخْتَارِيهِ، الصَّارِخِينَ إِلَيْهِ نَهَارًا وَلَيْلاً، وَهُوَ مُتَمَهِّلٌ عَلَيْهِمْ؟ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يُنْصِفُهُمْ سَرِيعًا"[٦٦].

أيضًا الرسول بولس يتمنى ويطلب بإستعداد ورغبة قوية وجهاد كثير، أن يصل تلاميذ الإيمان الصالح إلى حالة الكمال التام، وبالإضافة إلى ذلك، يُظهر هدف الحقيقة فيقول: " الَّذِي نُنَادِي بِهِ مُنْذِرِينَ كُلَّ إِنْسَانٍ، وَمُعَلِّمِينَ كُلَّ إِنْسَانٍ، بِكُلِّ حِكْمَةٍ، لِكَيْ نُحْضِرَ كُلَّ إِنْسَانٍ **كَامِلاً** فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. الأَمْرُ الَّذِي لأَجْلِهِ أَتْعَبُ أَيْضًا مُجَاهِدًا، بِحَسَبِ عَمَلِهِ الَّذِي يَعْمَلُ فِيَّ بِقُوَّةٍ"[٦٧]. وأيضًا

---

[٦٦] لو ١٨: ٦-٨.

[٦٧] كو ١: ٢٨-٢٩.

يتوجه نحو أولئك الذين استحقوا ختم الروح القدس بالمعمودية، متمنيًا أن ينالوا بصلواتهم الدائمة، المزيد من الإستنارة والنضوج الذهني، بواسطة هبة الروح القدس قائلاً: " لِذلِكَ أَنَا أَيْضًا إِذْ قَدْ سَمِعْتُ بِإِيمَانِكُمْ بِالرَّبِّ يَسُوعَ، وَمَحَبَّتِكُمْ نَحْوَ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ، لاَ أَزَالُ شَاكِرًا لأَجْلِكُمْ، ذَاكِرًا إِيَّاكُمْ فِي صَلَوَاتِي، كَيْ يُعْطِيَكُمْ إِلهُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَبُو الْمَجْدِ، رُوحَ الْحِكْمَةِ وَالإِعْلاَنِ فِي مَعْرِفَتِهِ، مُسْتَنِيرَةً عُيُونُ أَذْهَانِكُمْ، لِتَعْلَمُوا مَا هُوَ رَجَاءُ دَعْوَتِهِ، وَمَا هُوَ غِنَى مَجْدِ مِيرَاثِهِ فِي الْقِدِّيسِينَ، وَمَا هِيَ عَظَمَةُ قُدْرَتِهِ الْفَائِقَةُ نَحْوَنَا نَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ، حَسَبَ عَمَلِ شِدَّةِ قُوَّتِهِ[٦٨]".

بعد ذلك تحدث عن كيفية نوال الروح القدس " حَسَبَ عَمَلِ شِدَّةِ قُوَّتِهِ الَّذِي عَمِلَهُ فِي الْمَسِيحِ، إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ"[٦٩]. هنا يتكلم بوضوح عن الروح القدس وعمله في أولئك الذين ينالونه، حتى أنكم أنتم أيضًا - هكذا يقول - أن تقبلوا اليقين منه، بنفس الطريقة.

---

[٦٨] أف ١: ١٥-١٩.

[٦٩] أف ١: ١٩-٢٠.

ثم يتقدم قليلاً في الرسالة، مُتمنيًا لهم شيئًا أعظم، مُصليًا أن تحل على هؤلاء القوة الكاملة التي لروح الله. يقول: " بِسَبَبِ هذَا أَحْنِي رُكْبَتَيَّ لَدَى أَبِي رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي مِنْهُ تُسَمَّى كُلُّ عَشِيرَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَعَلَى الأَرْضِ. لِكَيْ يُعْطِيَكُمْ بِحَسَبِ غِنَى مَجْدِهِ، أَنْ تَتَأَيَّدُوا بِالْقُوَّةِ بِرُوحِهِ فِي الإِنْسَانِ الْبَاطِنِ، لِيَحِلَّ الْمَسِيحُ بِالإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ، وَأَنْتُمْ **مُتَأَصِّلُونَ وَمُتَأَسِّسُونَ فِي الْمَحَبَّةِ**، حَتَّى تَسْتَطِيعُوا أَنْ تُدْرِكُوا مَعَ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ، مَا هُوَ الْعَرْضُ وَالطُّولُ وَالْعُمْقُ وَالْعُلُوُّ، وَتَعْرِفُوا مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ الْفَائِقَةَ الْمَعْرِفَةِ، لِكَيْ **تَمْتَلِئُوا إِلَى كُلِّ مِلْءِ اللهِ**"[٧٠].

المحبة تاج كل الفضائل:

لكنه في رسالة أخرى، يتحدث إلى تلاميذه عن نفس الموضوعات، كاشفًا لهم كنز الروح، وراجيًا أن يشتركوا فيه، لأنه يقول: " وَلكِنْ جِدُّوا لِلْمَوَاهِبِ الْحُسْنَى. وَأَيْضًا أُرِيكُمْ طَرِيقًا أَفْضَلَ، إِنْ كُنْتُ أَتَكَلَّمُ بِأَلْسِنَةِ النَّاسِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَلكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَقَدْ صِرْتُ نُحَاسًا يَطِنُّ أَوْ صَنْجًا يَرِنُّ. وَإِنْ كَانَتْ لِي نُبُوَّةٌ، وَأَعْلَمُ جَمِيعَ الأَسْرَارِ وَكُلَّ عِلْمٍ،

---

[٧٠] أف٣: ١٤-١٩.

وَإِنْ كَانَ لِي كُلُّ الإِيمَانِ حَتَّى أَنْقُلَ الْجِبَالَ، وَلكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَلَسْتُ شَيْئًا. وَإِنْ أَطْعَمْتُ كُلَّ أَمْوَالِي، وَإِنْ سَلَّمْتُ جَسَدِي حَتَّى أَحْتَرِقَ، وَلكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَلاَ أَنْتَفِعُ شَيْئًا"[٧١]. لكن ما هو الربح الذي يأتي من وراء المحبة؟ وما هي غروس المحبة؟ وعن أي الأشياء تبعده، وأي الأشياء تُقدم له؟ كل هذا يُعلنه بوضوح في قوله " الْمَحَبَّةُ تَتَأَنَّى وَتَرْفُقُ. الْمَحَبَّةُ لاَ تَحْسِدُ. الْمَحَبَّةُ لاَ تَتَفَاخَرُ، وَلاَ تَنْتَفِخُ، وَلاَ تُقَبِّحُ، وَلاَ تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا، وَلاَ تَحْتَدُّ، وَلاَ تَظُنُّ السُّوَءَ، وَلاَ تَفْرَحُ بِالإِثْمِ بَلْ تَفْرَحُ بِالْحَقِّ، وَتَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ، وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. اَلْمَحَبَّةُ لاَ تَسْقُطُ أَبَدًا"[٧٢].

بحكمة كبيرة ودقة شديدة يقول: " اَلْمَحَبَّةُ لاَ تَسْقُطُ أَبَدًا". ماذا يعني هذا الكلام؟ يعني أنه حتى وإن استحق أحد أن ينال المواهب الأخرى التي يمنحها الروح القدس مثل مواهب التكلم بالألسنة، والكرازة والنبوة، والعلم، والشفاء، إلا أنها لا تُحرر بشكل تام وواضح من الشهوات التي تُزعجه داخليًا،

---

[٧١] ١كو ١٣:١-٣.

[٧٢] ١كو ١٣:٤-٨.

ولن تتقبل نفسه دواء الخلاص الكامل، بل ولن يستطيع أن يواجه بعد خطر السقوط، إن لم يكن لديه محبة، وهذه المحبة هي التي تُدعِّم وتؤمِّن ثبات ورسوخ الفضيلة.

إذًا لا تعتقد أنك لستَ في إحتياج لأي شيء أَخر لأجل كمالك، لمجرد أنك تحمل نعمة الروح القدس الغنية والوفيرة، وتبقى فقط مكتفيًا بعطاياه. لكن عندما تمتليء نفسك بغنى هذه العطية، حينئذٍ فلتصر فقيرًا في تفكيرك، سالكًا في مخافة الله علي الدوام، مُنتظرًا لنفسك المحبة كتاج لكنز النعمة، ومجاهدًا ضد كل شهوة، حتى تصل إلى نهاية مسيرتك نحو الصلاح، كما وصل الرسول بولس نفسه، وسما بتلاميذه إلى تلك المكانة، بالصلاة والتعليم، مُبينًا ومرشدًا كل مَن يحبون الرب، إلى كيفية التحوَّل نحو الأفضل، والنعمة التي تفيض فينا بسبب المحبة، قائلاً: " لأَنَّهُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لَيْسَ الْخِتَانُ يَنْفَعُ شَيْئًا وَلاَ الْغُرْلَةُ، بَلِ الْخَلِيقَةُ الْجَدِيدَةُ. فَكُلُّ الَّذِينَ يَسْلُكُونَ بِحَسَبِ هذَا الْقَانُونِ عَلَيْهِمْ سَلاَمٌ وَرَحْمَةٌ، وَعَلَى إِسْرَائِيلِ اللهِ"[٧٣]. ويقول

---

[٧٣] غل٦:١٥،١٦.

أيضًا " إِذًا إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ: الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ"[٧٤]. إن عبارة " خليقة جديدة"، هي عبارة مشتركة بين الرسل، وهي المصطلح الذي أعلنه الرسول بولس نفسه بوضوح في موضع آخر، قائلاً: " لِكَيْ يُحْضِرَهَا لِنَفْسِهِ كَنِيسَةً مَجِيدَةً، لاَ دَنَسَ فِيهَا وَلاَ غَضْنَ أَوْ شَيْءٌ مِنْ مِثْلِ ذلِكَ، بَلْ تَكُونُ مُقَدَّسَةً وَبِلاَ عَيْبٍ"[٧٥]. هكذا دعا سكنى الروح القدس داخل النفس النقية التي بلا لوم، والمتحرره من كل شر،ومن أي خداع وخزي: **" بالخليقة الجديدة".**

بمعنى أنه عندما تبغض النفس الخطية، وتتحد بالله بقوة، بواسطة حياة الفضيلة، وطالما أنها قد تغيَّرت، فإنها ستقبل داخلها نعمة الروح القدس، إذ أنها صارت جديدة بالكامل، وأعيد خلقها من جديد.

وعندما قال: " إِذًا نَقُّوا مِنْكُمُ الْخَمِيرَةَ الْعَتِيقَةَ، لِكَيْ تَكُونُوا عَجِينًا جَدِيدًا"[٧٦]. فهذا هو المعنى

---

[٧٤] ٢كو٥:١٧.

[٧٥] أف٥:٢٧.

[٧٦] ١كو ٥:٧.

تحديدًا، كذلك قوله " إِذًا لِنُعَيِّدْ، لَيْسَ بِخَمِيرَةٍ عَتِيقَةٍ، وَلاَ بِخَمِيرَةِ الشَّرِّ وَالْخُبْثِ، بَلْ بِفَطِيرِ الإِخْلاَصِ وَالْحَقِّ"[٧٧]. لأن التجربة تُقيم داخل النفس، فخاخ من كل جهة، وتمتد بالخطية داخلها. إن القوة الإنسانية وحدها غير قادرة أن تنتصر عليها، لذلك ينصحنا الرسول بولس أن نُسلِّح أعضاءنا بسلاح الله الكامل، يوصينا أن نلبس درع البر، وأن نكون مستعدين للكرازة ببشارة السلام، وممنطقين أحقائنا بالحق. وبالإضافة إلى كل ذلك يقول حاملين تُرس الإيمان، والذي به كما يقول: " تَقْدِرُونَ أَنْ تُطْفِئُوا جَمِيعَ سِهَامِ الشِّرِّيرِ الْمُلْتَهِبَةِ"[٧٨]، والسهام الملتهبة هي شهوات الفجور. يوصي أيضًا بأن نأخذ " خُوذَةَ الْخَلاَصِ، وَسَيْفَ الرُّوحِ الَّذِي هُوَ كَلِمَةُ اللهِ"[٧٩]. السيف المقدس إذًا هو كلمة الله، والذي به ينبغي أن نُسلح النفس، وأن نُصد كل ما يحيكه العدو من مكائد. لذلك فإن صلاته للجميع هي: " نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَمَحَبَّةُ اللهِ، وَشَرِكَةُ الرُّوحِ الْقُدُسِ مَعَ جَمِيعِكُمْ". وفي موضع آخر يقول

---

[٧٧] ١كو٥:٨.

[٧٨] أف٦:١٤،١٦.

[٧٩] أف٦:١٧.

" وَلْتُحْفَظْ رُوحُكُمْ وَنَفْسُكُمْ وَجَسَدُكُمْ كَامِلَةً بِلاَ لَوْمٍ عِنْدَ مَجِيءِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ"[٨٠]. آرايت تعدد طرق الخلاص التي أظهرها لك، والتي تتجه جميعها نحو مسيرة واحدة، وهدف واحد، أي أن يكون المسيحي كاملاً في كل شيء؟

هذه هي الغاية، حيث ينبغي أن يصل عشاق الحقيقة، بالإيمان القوي والرجاء الثابت الذي لا يهتز، إلى غايتهم، متقدمين في جهادهم بفرح وإستعداد. بهذه الطرق يكتمل طريق الحياة بسهولة، بإتجاه تنفيذ الوصايا بشكل كامل. أية وصايا أقصد؟ هي أن: "تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ"[٨١].

الغنى الروحي:

هذا إذًا هو هدف التقوى الذي أعطاه لنا الرب نفسه ورسله القديسون الذين تعلّموا منه. الآن إن كنت من خلال برهاني الطويل لهدف التقوى، قد أَطلت في حديثي، مهتمًا بالأكثر أن أقدم الحقيقة،

---

[٨٠] اتس٥:٢٣.

[٨١] تث٦:٥.

لا أن أختصر في الكلام، فأرجو أن لا يلمني أحد على ذلك.

فأولئك الذين يعرفون كيف يستخدمون الحكمة بإستقامة، ويحررون أنفسهم من وصمات الخطية، ينبغي أن يعرفوا هدف الحكمة بدقة. وهكذا عندما يتعلمون مشقة المسيرة ونهاية الطريق، يرفضون الحماقات، والأفكار التي تعلو على إمكانياتهم. وبعدما ينكرون ذواتهم بحسب وصية الكتاب، بل وحياتهم أيضًا، فإنهم سيتجهون نحو الغنى الحقيقي الذي عيّنه الله كمكافأة من أجل محبتهم للمسيح، داعيًا جميع الذين تعهدوا الجهاد برغبة منهم، أن يتبعونه كل أيام حياتهم. هذا ويعتبر الصليب هو المؤونة الكافية لمسيرة حياتهم هذه. والذي يجب أن يحملوه بفرح ورجاء صالح. وأن يتبعوا المسيح المخلص، واضعين كقانون لحياتهم الطريقة والأسلوب الذي إتبعه هو ذاته، كما قال الرسول بولس " كُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِي كَمَا أَنَا أَيْضًا بِالْمَسِيحِ"[٨٢]. وفي موضع أخر يقول: " وَلْنُحَاضِرْ بِالصَّبْرِ فِي الْجِهَادِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَنَا،

---

[٨٢] اكو ١١:١.

نَاظِرِينَ إِلَى رَئِيسِ الإِيمَانِ وَمُكَمِّلِهِ يَسُوعَ، الَّذِي مِنْ أَجْلِ السُّرُورِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَهُ، احْتَمَلَ الصَّلِيبَ مُسْتَهِينًا بِالْخِزْيِ، فَجَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ اللهِ"[٨٣].

إن ثمن تخوف قائم من أن النجاح في ممارسة الفضيلة قبل أن نصل إلى تحقيقها بالكامل، قد يُعرّضنا للإفتخار الخاطيء بعطايا الروح القدس، خاصة أن مثل هذا النجاح يسبب لنا حالة من التباهي والكبرياء، تجعلنا نخسر إستعدادنا ورغبتنا، فنبطل بحماقتنا، جهادنا السابق، **ونظهر غير مستحقين للكمال** الذي جذبتنا إليه نعمة الروح القدس.

إذًا ينبغي ألا نتراخى على الإطلاق في جهادنا، ولا أن نترك هذا الجهاد الذي ينتظرنا، ولا نُعطي إهتمامًا للأمور السابقة، إن كنا قد عملنا شيئًا ذا قيِّمة. ليتنا ننسى هذه كلها ولنتقدم إلى الأمام، بإهتمام لا ينقطع من نحو الجهاد، وإنسجام قلب، وأن نحتفظ برغبة لا تشبع إلى البر الذي يجب على الذين يسعون **نحو الكمال**، أن يشربونه ويعطشون إليه، وأن يصيروا متواضعين، ويحيوا في مخافة الله، فهم لأزالوا بعيدون عن الوعود المحفوظة لهم، وبعيدون عن

---

[٨٣] عب١٢: ٢،١.

محبة المسيح الفائقة، وكما يقول الرسول بولس " أَنَا أَنْسَى مَا هُوَ وَرَاءُ وَأَمْتَدُّ إِلَى مَا هُوَ قُدَّامُ"[٨٤].

ومَن يُحب هذه المحبة، ويهدف إلى نوال الوعود السماوية، لا تتوقف رغبته للصوم والسهر وكل فضيلة آخرى، مُفتخرًا بفضائله السابقة، بل مُمتلئًا بالشوق الإلهي، ومتجهًا بقوة نحو الذي يدعوه. وكل جهاد يمارسه لكي يحقق هذا الأمر، يعتبره صغيرًا وغير مستحق للمكافأة، بل ويُصارع حتى نهاية حياته، ويوصل جهاد بجهاد، وفضيلة بفضيلة، حتى يجعل نفسه من خلال أعماله، مؤهلة لأن تُكرَّم من قِبل الله. ويكون ضميره شاهدًا عليه بأنه غير مستحق أمام الله، لأن هذا هو أعظم إنجاز للحكمة. فبينما توجد هناك إمكانية لدى المرء للقيام بأعمال عظيمة، إلا أنه يحمل قلبًا منسحقًا، ويدين حياته، ويزدري بالتباهي والإفتخار، بسبب وجود مخافة الله في قلبه. لكي يتمتع بالوعود السمائية، لأنه صدَّقها وآمن بها، وصار متطلعًا إليها ومحبًا لها، وليس لأنه حققها بجهاده. لأن نعمة الله عظيمة وليس هناك ما يساويها سواء جهاد أو أتعاب.

---

[٨٤] في٣:١٣.

فإن الأحتياج الحقيقي هو لإيمان ورجاء كبير، فتُحسب المكافأة للنعمة وليس للجهاد فقط. إن جوهر الإيمان هو الفكر المتضع، والمحبة غير المحدودة لله.

التجرد الحقيقي:

إنني أعتقد أن ما قيل عن هدف الذين يتمنون أن يتمثلوا بمن إختاروا أن يحيوا بحكمة في هذه الحياة، هو كافيًا. والآن ينبغي أن نُضيف إلى ما سبق، كيف يجب أن يسلكوا في ما بينهم، وأية آلام عليهم أن يتقبلوها، وكيف يجاهدون معًا حتى يصلوا إلى المدينة السماوية.

إذًا فمن يزدري بأمور هذه الحياة بشكل واضح، وينكر كل شيء، بل وينكر كل مجد هذا العالم الحاضر، ويسعى نحو التكريم السماوي، ويرتبط روحيًا بإخوته، يجب عليه - بالإضافة إلى إنكار هذه الحياة - أن ينكر ذاته، وإنكار الذات هو أن لا يسعى الإنسان نحو أي أحد لكي يحقق إرادته، بل ليجعل كلمة الله مرشدًا لتحقيق إرادته، وليستخدمها كقائد صالح، تلك التي توجه وتدبر

الملء المشترك للأخوة داخل ميناء المشيئة الإلهية. لا ينبغي لأحد أن يربح أي شيء أو يعتبره ملكًا له، سوى الملبس الذي يغطي جسده.

بمعنى إن لم يكن لديه أي شيء من هذه الأشياء، وهو متجردًا من الإنشغالات الحياتية التي تخصه، فسيصير هو من يهتم بالإحتياجات المشتركة، مُستعدًا لأداء ذلك بفرح، هكذا يوصي المدبرين. وكمحبوب وعبد للمسيح قد أُفتُديَ، فإنه مستعد وبكامل إرادته أن يخدم الإحتياجات المشتركة للأخوة. لأن هذا هو ما يُريده الرب منَّا، ويحثنا على فعله قائلاً: " مَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِيرَ فِيكُمْ عَظِيمًا، يَكُونُ لَكُمْ خَادِمًا، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِيرَ فِيكُمْ أَوَّلاً، يَكُونُ لِلْجَمِيعِ عَبْدًا"[٨٥].

إذًا ينبغي أن تكون الخدمة بلا أَجر، ولا تحمل لمن يخدم أي كرامة أو مجد، وأن لا تُقدَم إرضاءًا للناس، هكذا ينصح الرسول بولس " لاَ بِخِدْمَةِ الْعَيْنِ كَمَنْ يُرْضِي النَّاسَ، بَلْ كَعَبِيدِ الْمَسِيحِ، عَامِلِينَ مَشِيئَةَ اللهِ مِنَ الْقَلْبِ"[٨٦]، بل ليسير في طريق الآلام، حيث يضع عنقه وبملء إرادته، تحت ذلك النير،

---

[٨٥] مر ١٠: ٤٣:٤٤. مت ٢٠: ٢٦:٢٧.

[٨٦] أف ٦: ٦.

مُحتملاً إياه حتى النهاية، ويتقدم نحو تلك النهاية بفرح ورجاء صالح.

ينبغي على الخادم إذًا أن يكون خاضعًا للجميع، وأن يخدم الأخوة، كمن هو مَدين بتسديد قرضٍ ما، مُتعهدًا أن يحمل في نفسه مسئولية الإهتمام بالجميع، وأن يبذل كل الجهد لتقديم المحبة التي يجب أن يُقدمها. ولكن أيضًا يجب على المسئولين عن توفير أماكن الخدمة الروحية[٨٧]، والقادة الروحيين، أن يضعوا في إعتبارهم حجم مسئولياتهم، وأن يحترصوا من الشر الذي يُقوِّض الإيمان، وأن يُديروا عملهم كما ينبغي لإشرافهم، من حيث الإهتمام والرعاية، ويجب ألا ينتفخوا بفكرهم، بسبب السلطة، لأن هنا يكمن الخطر. إن البعض يعتقد أنهم رؤساء لآخرين، وأنهم يقودونهم إلى الحياة السماوية، بينما يكونوا قد هلكوا بسبب فكرهم المتكبر، دون أن يدركوا هذا.

إذًا يجب على القادة الروحيين المدبرين أن يجاهدوا وهم يرعون رعيتهم ويتعبوا أكثر من الآخرين، بل وأن يكون فكرهم أكثر إتضاعًا

---

[٨٧] يقصد رؤساء الأديرة.

ممن يرعونهم، وأن يقدموا أنفسهم للأخوة كنموذج للخدمة، مؤمنين بأن هؤلاء الأخوة، هم الوديعة التي إستأمنهم الله عليها.

فإن إستطاعوا أن يجمعوا الكل معًا في وحدة روحية واحدة من خلال خدمتهم في الأماكن المقدسة بهذه الطريقة. ويُعلّمون في العلن وفقًا لما يحتاجه كل أحد، لكي يُحفَظ النظام الذي يجب أن يكون، بينما بشكل سري وذهني يحفظون التواضع بالإيمان، كعبيد ممتين، فإنهم بهذا المنهج الحياتي يُعِدون لأنفسهم مكافأة عظيمة. إذًا فلتهتموا بهؤلاء كمربين صالحين لأبناء إستقبلوا من آبائهم هذا الإهتمام، لأن المربين يتفهموا طبائع تلاميذهم. فمنهم مَن يعَاقِبونه، ومنهم مَن ينصحونه. ومنهم مَن يمتدحونه، كلٌ بحسب ما يتسم به من صفات. والمربين لا يبدون إي إنفعال، ولا يتصرفون لا بفرح ولا بعداوة تجاه هؤلاء الأولاد، بل يفعلوا ما يتلاءم مع عملهم، وبحسب ما يتطلبه سلوك الإبن حتى يصبح هؤلاء الأولاد غيورين وذي وقار في هذه الحياة.

وأنتم أيضًا يجب عليكم بعدما تتركوا كل بغضه تجاه الأخوة وكل زهو، لتجعلوا حديثكم متوافقًا مع قدرة وسمات كل أحد. تؤنب الواحد، وتنصح الأخر، وتعزي الثالث، معطيًا - كطبيب متمرس وصالح - الدواء الذي يحتاجه كل أحد. لأن الطبيب الذي يُراقب المرض، يحدد العلاج بدواء خفيف لأحد الأمراض، ودواء أقوى لمرض أخر، ولا يغضب من أي مريض، بل يُكيِّف عمله لخدمة النفوس والأجساد. وانت أيضًا فلتتابع ذاك المحتاج إلى عملك وجهدك، كيف تهذب نفس التلميذ الذي يقصدك بإستقامة، وتقدم للأب تلك الفضيلة المشرقة (فضيلة الإتضاع)، حتى ترث عطية الروح القدس بإستحقاق.

فلتسلكوا هكذا فيما بينكم، القادة والتلاميذ، وليخضع التلاميذ لوصايا قادتهم بفرح، وليقد القادة الأخوة **نحو الكمال** بفرح، وأن تقدموا بعضكم بعضًا في الكرامة، كما يقول الرسول بولس " وَادِّينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِالْمَحَبَّةِ الأَخَوِيَّةِ،

مُقَدِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْكَرَامَةِ"[٨٨]. إن فعلتم هذا ستحيون حياة الملائكة على الأرض.

ينبغي أن لا يَسُد بينكم التفاخر والتباهي، بل البساطة والوئام وصفاء القلب وحسن النية. وليُقنع كل واحد نفسه بأنه ليس فقط أقل من أخيه الذي يعيش معه في ألفة، بل وأقل من كل إنسان، وعندما يجاهد ليحقق هذا الأمر، سيكون تلميذًا حقيقيًا للمسيح. لأنه كما قال المخلص: " لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يَتَّضِعُ وَمَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ يَرْتَفِعُ"[٨٩]، وفي موضع آخر يقول: "إِذَا أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَكُونَ أَوَّلاً فَيَكُونُ آخِرَ الْكُلِّ وَخَادِمًا لِلْكُلِّ"[٩٠]، كذلك " أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ"[٩١]. أيضًا يقول الرسول بولس " فَإِنَّنَا لَسْنَا نَكْرِزُ بِأَنْفُسِنَا، بَلْ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبًّا، وَلَكِنْ بِأَنْفُسِنَا عَبِيدًا لَكُمْ مِنْ أَجْلِ يَسُوعَ"[٩٢].

---

[٨٨] رو ١٢:١٠.

[٨٩] لو ١٤:١١، ١٨:١٤، مت ٢٣:١٢.

[٩٠] مر ٩:٣٥.

[٩١] مت ٢٠:٢٨.

[٩٢] ٢كو ٤:٥.

إذًا وأنتم عارفون بكل هذه الثمار التي للتواضع، ومدى الخسارة التي تأتي من وراء الزهو والإفتخار، فلتتمثلوا بالرب، بأن تحبوا بعضكم بعضًا، ولا تخافوا، لا من الموت ولا من أي عقاب آخر، طالما أن هدفكم هو أن يُفيد أحدكم الآخر. إن الطريق الذي سار فيه الرب بيننا، هذا فلتسيروا فيه أنتم أيضًا، جسدًا واحدًا ونفسًا واحدة، متقدمين نحو دعوة الله العليا، مُحبين لله، ومقدمين محبة بعضكم لبعض، لأن المحبة ومخافة الله، هي بداية الناموس.

مشورة الله الصالحة:

إذًا يجب على كل واحد منكم أن يضع المخافة والمحبة داخل نفسه، كأساس قوي وراسخ، وأن يُغذي ذلك بالأعمال الصالحة والصلاة التي لا تنقطع. لأنه ليس من الطبيعي أن تُولد محبة الله داخلنا بشكل تلقائي وذاتي، بل يحدث هذا بجهاد كثير، وإهتمام فائق، وبمعونة المسيح، كما تقول الحكمة: " إِنْ طَلَبْتَهَا كَالْفِضَّةِ، وَبَحَثْتَ عَنْهَا كَالْكُنُوزِ، فَحِينَئِذٍ تَفْهَمُ مَخَافَةَ الرَّبِّ، وَتَجِدُ مَعْرِفَةَ

اللهِ"[٩٣]. وعندما تنال معرفة الله، وتشعر بالمخافة، فمن السهل أن تُحقق الجانب التالي، وأعني محبة قريبك. فعندما تربح الأول (أي معرفة الله) بجهد كبير، فإن الثاني (أي المحبة)، سيتبع الأول بدون جهد. لكن عندما تغيب معرفة الله، فإن المحبة لن تتحقق أو تظهر بوضوح. " لأنه كيف لمن لا يُحب الله من كل قلبه ومن كل نفسه"[٩٤] بإستقامة، أن يحب أخوته محبة نقية، مادام ليس لديه محبة كاملة نحو الله الذي يعتني بنفسه؟ ومن يتمسك بهذا المستوى، ولا يُقدِم نفسه بالكامل لله، وهو قائم دون أن يكون مسلحًا بمحبته للجميع، فإن مُبتدع الشر سيجعله تحت سلطانه، منتصرًا عليه بأفكاره الخبيثة. تارة بأن يجعل وصايا الكتاب المقدس من جهة خدمة الأخوة، تبدو وكأنها صعبة الحمل وثقيلة، وتارة أخرى يجعله ينتفخ بذات الخدمة التي يقدمها لشركائه في العبودية، فيفتخر ويتباهى، مُقنعًا إياه أنه قد تمَّم كل وصايا الرب وسيُصبح عظيمًا في السموات، وهذا جُرم ليس بالهين.

---

[٩٣] ام ٢:٤:٥.

[٩٤] تث ٦:٥.

يجب على العبد المُحب والجاد، أن يضع ثقته في سيده من جهة الحكم على المحبة، ولا يُصبح هو ذاته ديانًا بدلاً من الله، وممتدحًا لحكمه هو. لأنه إن أصبح هو نفسه، ديانًا وتجاوز الحق، فلن ينال أجره في ملكوت الله، لأنه سيكون قد حَصل عليه كاملةً من خلال المديح والزهو، قبل الدينونة العتيدة.

وكما يقول الرسول بولس: " اَلرُّوحُ نَفْسُهُ أَيْضًا يَشْهَدُ لأَرْوَاحِنَا أَنَّنَا أَوْلاَدُ اللهِ"[٩٥]، فيجب أن تتوافق روحنا مع روح الله، لا أن نحكم على حالنا، بأحكامنا نحن. لأن الرسول بولس يقول " لأَنَّهُ لَيْسَ مَنْ مَدَحَ نَفْسَهُ هُوَ الْمُزَكَّى، بَلْ مَنْ يَمْدَحُهُ الرَّبُّ"[٩٦]. ومَن لا ينتظر إرشاد الرب ومشورته، لكنه يستبق حكمه، يسقط في خطية تمجيد الناس، ويبحث عن كرامته التي يسعى لكي ينالها من أخوته، بأتعابه، ويفعل مثلما يفعل غير المؤمنين. وبالحق فإن ذاك الذي يسعى لإقتناص التكريم الإنساني، بدلاً من التكريم السماوي هو غير مؤمن، كما يقول الرب:

---

[٩٥] رو٨: ١٦.

[٩٦] ٢كو ١٠: ١٨.

" كَيْفَ تَقْدِرُونَ أَنْ تُؤْمِنُوا وَأَنْتُمْ تَقْبَلُونَ مَجْدًا بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَالْمَجْدُ الَّذِي مِنَ الإِلهِ الْوَاحِدِ لَسْتُمْ تَطْلُبُونَهُ؟"[٩٧].

مَن يشبه هؤلاء المتكبرون؟ أَلا يُشبهون أولئك الذين يُنَقُّونَ خَارِجَ الْكَأْسِ وَالصَّحْفَةِ، وَهُمَا مِنْ دَاخِلٍ مَمْلُوآنِ اخْتِطَافًا وَدَعَارَةً؟[٩٨]. إحذروا إذًا لئلا تُصابوا بنفس الشيء، بل يجب أن تُحوّلوا نفوسكم نحو السماء ولكم إهتمامًا واحدًا، لكي تنالوا رضى الرب. ولا يغيب عنكم قط تذكّر ملكوت السموات، وأن لا تقبلوا أمجاد هذه الحياة الحاضرة. هكذا ينبغي أن تجاهدوا بهذه الأفكار المستقيمة ولا تتحدثوا عن جهادكم، ولا عن فضائلكم، حتى لا يجد الشرير فرصة أن يقترح علينا بخبث، قبول الكرامة الأرضية. وبعدما يختطف نفوسكم بهذه الأفكار، وبدلاً من أن تنشغلوا بالأمور الحقيقة المختصة بملكوت الله، فإنه يقذف بكم إلى الأمور الباطلة والغاشة. وإن لم يجد فرصة على الإطلاق ليتسلل خلسة ويسخر ممن يتطلعون نحو السماء،

---

[٩٧] يو ٥:٤٤.

[٩٨] مت٢٣:٢٥.

يصبح هالكًا لا محال، وسيسقط صريعًا ميتًا. لأنه إن لم يستطع أن يجعل الشر فاعلاً وموضع تطبيق لدى الآخرين، فذلك يُعَد موتًا بالنسبة له. إذًا عندما توجد محبة الله داخلنا، فستتبعها بالضرورة الفضائل الأخرى، أي محبة الأخوة، الوداعة، الصراحة، الصلاة الدائمة التي لا تنقطع، وكل فضيلة بشكل عام.

فحص النفس:

وطالما أن الربح عظيم، فإن تحقيقه يتطلب أيضًا جهدًا عظيمًا، لا لكي يحيا به الناس، بل لكي يكون هذا الجهاد مرضيًا أمام الرب الذي يعرف خفايا القلوب. هكذا يجب أن نطلب الله دائمًا، ونفحص أعماق نفوسنا، ونسيِّج حولها بأفكار التقوى، حتى لا يجد الشيطان طريقة للتسلل إليها، ولا موضعًا لكي يُظهِر فيه المضاد مكائده، بل أيضًا أن نُدرب أعضاء النفس التي ضَعُفت، على التمييز بين الخير والشر. ونملىء الذهن الذي يعرف كيف يخضع لله، بالصلاح، فتتجه النفس بكاملها نحو الله. فمن خلال محبة الله، والمعاني الخفية

للفضيلة، وتنفيذ الوصايا، يشفي إهتزازها وعدم رسوخها، ويدعمها بقوة.

إذًا لأن حراسة النفس وشفاءها، هو أمر واحد، فيجب أن يتذكر المرء الله على الدوام، وينشغل دائمًا بالأفكار الصالحة، وعلينا ألا نهمل هذا الإنشغال عندما نأكل أو نشرب، وعندما نهدأ، أو نعمل، أو نتّكلم. وهكذا سيُساهم سلوكنا ككل في إعلان مجد الله، وليس في إعلان مجدنا نحن، ولن يكن في حياتنا أية نجاسة أو دنس تسببها مكائد الشرير.

ومن ناحية أخرى فإن الجهد الذي يتطلبه تنفيذ الوصايا سهل ومُحبَّب، لجميع الذين يُحبون الله، لأن المحبة لله، تجعل جهادنا سهلاً ومُفرحًا. ولذلك فإن الشيطان يجاهد بكافة الوسائل أن ينزع مخافة الله من نفوسنا، ويشتت محبتنا له، محاولاً من خلال شهوات فاسدة، وأدوات براقة، أن يقبض على نفوسنا مجردة من الأسلحة الروحية وغير محروسة بأية حراسات ويُبطل جهادنا، مُضيفًا المجد الأرضي إلى المجد السماوي، ويشوه الصلاح الحقيقي، من

خلال كل ما قد يبدو في خيال الذين خُدِعوا، على أنه خيرًا، رغم أنه مشوه.

لأن ما يُعتَبر أمرًا مُخيفًا، أن يري الشيطان الحراس مُتكاسلين أو متراخين، لأنه عندئذ سينتهز الفرصة خفيةً ليأتي إلى الجهد من أجل الفضيلة، ويبذر أشواكه مع الحنطة، وأعني كلماته المسيئة ونميمته، والإحساس بالزهو، وبالغرور، وشهوة الكرامة، وحب النزاع، وكل إفرازات الشر الأخرى.

إذًا ينبغي أن نسهر ونتيقظ، ونترقب مجيء العدو من كل جهة، وان كانت وقاحته تجعله يستخدم حيلة أو مكيدةً ما، فيجب أن تُصَد قبل أن تمس نفوسنا.

مخافة الله:

ويجب أن تتذكروا دومًا الآتي: أن هابيل قدم قربانا إلى الرب من أبكار غنمه ومن سِمَانها، بينما قدم قايين من أثمار الأرض، لكن ليس من البكور الأولى. يقول الكتاب: " فَنَظَرَ الرَّبُّ إِلَى هَابِيلَ

وَقُرْبَانِهِ، وَلَكِنْ إِلَى قَايِينَ وَقُرْبَانِهِ لَمْ يَنْظُرْ"[٩٩]. ماذا تقدم هذه القصة من فائدة؟ يمكننا أن نتعلم منها، ان الأمر المرضي أمام الله، هو ما يتم أو يتحقق بمخافة وإيمان، وليس هو الشيء الثمين الفخم الذي يُقدَم بدون محبة. وبالطبع هذا ما تحقق في قبول إبراهيم لبركة ملكي صادق إذ أنه لم يقبل البركة[١٠٠]، إلا بعدما قدم البكورات، وقدمها لكاهن الله العلي، وقيل أنه قدم من أفضل الغنائم، ويعني بها نفسه وذهنه، مُوصيًا إيانا بألا نفعل مثل البخلاء الذين يقدمون ذبائحهم لله بدناءة ورخاوة، ويوصينا أيضًا بألا نُقدم لله قربانًا حسبما يكون، بل نقدم الموضع الرئيسي الأهم داخل النفس، او من الأفضل أن نقول أن نقدم النفس بجملتها لله، بكل الحب والرغبة الصادقة في العطاء، حتى أننا، ونحن نتغذى دومًا بنعمة الروح القدس آخذين قوة من قوة المسيح، نركض بسهولة في طريق الخلاص، جاعلين الجهاد نحو نوال البر، أسهل وأيسر، بمعونة الله الذي سيُعيننا أن نجاهد بنية طيبة ورغبة صادقة، وسيُحقق أعمال البر من خلالنا.

---

[٩٩] تك ٤: ٤،٥.

[١٠٠] تك ١٤: ١٨.

إلى هنا يكفي ما قلناه. أما بالنسبة لأقسام الفضيلة، فما هو القسم الذي نعتبره أسمى، ونوليه إهتمامًا أكثر، وما القسم الذي يأتي بعد ذلك، لتتبعه الأقسام الاخرى. لا يمكنني أن أتكلم عن ذلك، لأن الفضائل مرتبطة فيما بينها بالتساوي، فقسم فيها بإرتباطه بالأخر، يقود إلى قمة مَن يحملها، فالبساطة تتبع الطاعة، والطاعة تتبع الإيمان، والإيمان يتبع الرجاء، والرجاء يتبع البر، والبر يتبع الخدمة، والخدمة تتبع التواضع، ومن التواضع أيضًا تاخذ الوداعة إستمراريتها، وتسلمها للفرح والفرح يسلمها للمحبة، والمحبة للصلاة. وهكذا تعتمد احد هذه الفضائل على الأخرى، وتسمو بمن يحملها إلى قمة ما يرغب فيه ويشتهيه. مثلما من الناحية الأُخرى فإن الخبث يهبط بأصدقائه ومُحبيه من خلال أقسامه الكثيرة إلى أقصى نقطة في الشر. لكن علينا نحن أن نُصِر ونُصمِّم بالأكثر على الصلاة، فالصلاة هي القمة في حقل الفضائل، وبواسطتها نطلب من الله فضائل أخرى، ومَن يُصلي بصفة دائمة يتحد به، بقداسة داخلية خَفيَّة، وقوة روحية، وإستعداد لا يُعبر عنه.

بالصلاة يأخذ المؤمن الروح القدس مرشدًا ومعينًا له، ويشعر بدفء محبة الله داخله، ويلتهب بالشوق إليه، ولا يشبع من الصلاة، بل ويشتاق دومًا إلي إقتناء الصلاح الإلهي، مغذيًا النفس بهذه الرغبة، كما قيل بحكمة إبن سيراخ " مَن أكلني إزداد جوعًا ومَن شربني إزداد عطشًا"[١٠١]. وفي موضع آخر يقول المرنم: " جَعَلْتَ سُرُورًا فِي قَلْبِي"[١٠٢]، بينما يقول الرب: " لأَنْ هَا مَلَكُوتُ اللهِ دَاخِلَكُمْ"[١٠٣].

الصلاة الدائمة وتعزيات الروح القدس:

لكن ما هو الملكوت الذي بداخلنا؟ هذا الملكوت، ليس هو، سوى الفرح الذي يحمله الروح القدس إلى نفوسنا من السماء. إنه عربون، وعيّنة الفرح الأبدي الذي تتمتع به نفوس القديسين في الحياة التي نترجاها. هكذا يقودنا الرب ويسندنا في كل ضيقتنا بقوة الروح القدس، لكي يُخلصنا، ويُعطينا الخيرات الروحية، ومواهبه وعطاياه، لأن الرسول يقول: " الَّذِي يُعَزِّينَا فِي كُلِّ ضِيقَتِنَا، حَتَّى

---

[١٠١] حكمة إبن سيراخ ٢٤:٢١.

[١٠٢] مز ٤:٧.

[١٠٣] لو ١٧:٢١.

نَسْتَطِيعَ أَنْ نُعَزِّيَ الَّذِينَ هُمْ فِي كُلِّ ضِيقَةٍ"[١٠٤]، وأيضًا يقول المرنم: " قَلْبِي وَلَحْمِي يَهْتِفَانِ بِالإِلهِ الْحَيِّ"[١٠٥]، وأيضًا " كَمَا مِنْ شَحْمٍ وَدَسَمٍ تَشْبَعُ نَفْسِي"[١٠٦]، إن كل هذا يعلن بطريقة سرية، عن الفرح والقوة التي يهبنا إياها الروح القدس.

ولأننا أظهرنا واوضحنا ما هو هدف التقوى، والذي يجب على كل مَن يختار الحياة المرضية أمام الله، أن يضعه أمامهم. هذا الهدف هو نقاوة النفس، وسكنى الروح القدس داخلها، بواسطة الأعمال الصالحة التي تُساهم في نمونا الروحي، فيجب على كل واحد منَّا، بعدما يُعِد نفسه بالطريقة التي أوضحتها، وبعدما يملأ نفسه بالعشق الإلهي، أن يُسلم ذاته للصلوات والأصوام وفقًا لإرادة الله. وليتذكر دومًا كلمات الذي قال: " صَلُّوا بِلاَ انْقِطَاعٍ"[١٠٧]، وأيضًا " مُوَاظِبِينَ عَلَى الصَّلاَةِ"[١٠٨]، بالإضافة إلى وعد الرب: " أَفَلاَ يُنْصِفُ اللهُ مُخْتَارِيهِ،

---

[١٠٤] ٢كو ١:٤.
[١٠٥] مز ٨٤:٢.
[١٠٦] مز ٦٣:٥.
[١٠٧] ١تس ٥:١٧.
[١٠٨] رو ١٢:١٢.

الصَّارِخِينَ إِلَيْهِ نَهَارًا وَلَيْلاً"[١٠٩]، لأنه يقول: " فِي أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُصَلَّى كُلَّ حِينٍ وَلاَ يُمَلَّ"[١١٠].

إن الغيرة في الصلاة، تمنح عطايا عظيمة، وتجعل الروح القدس يسكن في النفوس، وهذا يَظهر بوضوح من خلال حث الرسول بولس لنا، بأن نكون "مُصَلِّينَ بِكُلِّ صَلاَةٍ وَطِلْبَةٍ كُلَّ وَقْتٍ فِي الرُّوحِ، وَسَاهِرِينَ لِهذَا بِعَيْنِهِ بِكُلِّ مُواظَبَةٍ وَطِلْبَةٍ"[١١١]. حتى أنه لو أن أخًا من الإخوة سلَّم نفسه لهذا القسم من الفضيلة، أعني الصلاة، فسيدّخر لنفسه كنزًا حسنًا، إذ أنه عاشقًا للصلاح الأعظم. فقط فليمارس كل واحد ذلك بضمير صالح ومستقيم، دون أن يترك ذهنه قط للخداع، ولا كمن هو مضطر أن يؤدي واجبًا دون إختيار أو بدون إراداته، بل كمن يُتمم محبة نقية، ويُعبرِّ عن إشتياق النفس للإتحاد بالله، مُقدمًا للجميع تلك الثمار الصالحة الناتجه عن ثباته في الإيمان. إلا أنه ينبغي على الجميع أيضًا، ان يعطوا له الفرصة، ويُعبروا عن فَرحهم لأنه يسير في طريق الصلاة دومًا.

---

[١٠٩] لو١٨:٧.

[١١٠] لو١٨:١.

[١١١] أف٦:١٨.

وذلك حتى يَجنُوا النتائج الصالحة، لأنهم بهذا يصبحوا شركاء في هذه الحياة (حياة الصلاة) من خلال مشاركتهم في هذا الفرح. وسيُمنَح للذين يطلبون الرب، الطريقة التي يجب أن يُصلّوا بها، وفقاً للكلمة القائلة: " الذي يُعطي كيف ينبغي أن يُصلىَ هو الذي يُصلي داخلهم"[١١٢]. إذًا يجب على مَن يُصلي على الدوام ان يطلب وأن يعرف عملاً واحد له هذا القدر من الأهمية، وان يُمارسه بكل غيرة وبكل قوة، وأن يُكرِّس نفسه للجهاد. فالمكافأت الكبرى، تتطلب جهادًا كبيرًا، لأن الخطية متربصة، وتختبر المؤمن من كل جهة، وتلّتف وتُضلِّل، وتسعى لتحويل الإهتمام نحو إتجاه آخر. من هنا يأتي النوم، والخمول الجسدي، وضعف النفس، واللأمبالاة، وعدم الحذر وعدم الحرص، وعدم الإحتمال، والقلق، وكل أعمال الشر. وهذه كلها تقود إلى الهلاك، وإختطاف النفس من كل جانب، وتجعلها تتحول إراديًا إلى معسكر العدو.

إذًا يجب ان يكون الذهن مثل قائد حكيم، يُراقب النفس دون ان يتراجع على الإطلاق أمام

---

[١١٢] ١صم٢:٩ (س).

القلاقل التي يُثيرها الروح الشرير، ويتطلع دومًا نحو الميناء السماوي، ويسلم نفسه بشكل تام وكامل لله، فهو الأمين عليها، والذي يطلبها دائمًا. وليس هو أمرًا مهمًا ومرضيًا بحسب تعليم الكتاب المقدس، أن يسقط أحد على ركبتيه، مُتشبهًا بالذين يُصلّون وهم سجودًا حتى أن جباههم تلامس التراب، بينما فكرهم مُشتَّتًا وبعيدًا عن الله، بل يجب على من يصلي أن يطرد من أفكاره، كل خمول وكل فكر متعسف، وأن يُكرِّس نفسه وجسده للصلاة.

عمل القادة الروحيين:

وينبغي على القادة الروحيين أن يشاركوا مَن يُصلي، رغبته هذه، ويُلهبوا شهوته للصلاة، ويدعمونها بكل يقظه ونصح وإرشاد حقيقي، ويُساهموا في تنقية نفسه بكل تدقيق.

لأنه عندما تُقدَم ثمار فضائل الذين يُصلّون بهذه الطريقة إلي رفقائهم، يصير نافعًا ليس فقط لمن نمى في النعمة، بل أيضًا لأولئك الذين لا يزالوا بعد أطفالاً ولهم إحتياج للتعلّم، لأن هذا يُشجعهم، ويحثهم على أن يتمثلوا بكل ما يرونه. وثمار الصلاة الحقة هي:

البساطة، المحبة، التواضع، الإحتمال، نقاوة القلب، وكل الأمور المماثلة.

إن ما يجعل هذه الغروس تُزرَع وتنمو وتأتي بثمار في هذه الحياة، قبل أن نصل إلي ثمار الحياة الأبدية، هو جهاد الذي يُصلي من كل قلبه. هذه الثمار هي التي تعكس جمال الصلاة، وبدونها يذهب جهاد النفس سُدى ويُفقَد. وليس فقط الصلاة، بل إن كل طريق يقود إلي الحياة الفاضلة، لو قَدمَ مثل هذه الثمار، يعتبر طريق حقيقي يؤدي به للبر، وإلى النهاية الصحيحة. ولكن إذا خلت الحياة من هذه الثمار، فإنها ستؤول إلى لقب فارغ من المضمون، والذي يُشبه العذاري الجاهلات، واللآئي عندما إحتجنَ إليه (أي زيت النعمة الذي هو ثمار الصلاة) لم يجدنه. لأن النور لم يكن داخل نفوسهن، ولا ثمر الفضيلة، ولا سراج الروح كان منيرًا في ذهنهم. لذلك بالصواب دعاهم الكتاب بالجاهلات، لأن فضيلتهم قد إنطفأت قبل أن يأتي العريس، لذلك إستبعد هؤلاء البائسات من العرس السماوي.

لم ينظر إلى غيرتهم للبتولية، طالما إنهن لم يضعن أنفسهن تحت عمل قوة الروح القدس بشكل

صحيح. ما المنفعة أن يُبذَل الجهد في زراعة الكرم، دون أن يُعطي الثمار التي لأجل إنتظار جنيها، بذل الفلاح كل الجهد؟ وما هو فائدة الصوم، والصلاة، والسهر، إن غاب السلام، والفرح، والمحبة، وكل الثمار الأخرى التي أحصاها الرسول بولس، لنعمة الروح القدس؟ كل الأتعاب التي يجوزها المصلي، ويصبر عليها العاشق للفرح السماوي، هدفها نوال هذه الثمار التي يجذبه إليها الروح القدس. فنعمة الروح القدس تُنتج ثمارًا. فهي التي تُعين في الجهاد عند زرع الغروس، وهي التي تُنميها في حقل إتضاع مَن يصلي، حين تراه يُعبر عن رغبة وإستعداد للعمل.

إذًا يجب أن يحتمل المرء الجهاد في الصلاة، وفي الصوم، والممارسات الآخرى، بكل فرح، ومحبة، ورجاء، وأن يؤمن ويثق بأن زهور وثمار الجهاد الروحي، يرجع لعمل الروح القدس. وإذا فكرَّ المرء بعكس ذلك، ونسب كل شيء لجهاده، فبدلاً من ان يربح تلك الثمار الروحية الواضحة كل الوضوح، سيسقط في فخ الإفتخار، ويتكبر، وعندما تُستَعلن هذه الشهوات الرديئة، كشيء عفن داخل نفوس الكسالى، سيتعرضون للفساد وسيهلكون.

الكمال الروحي:

إذًا ماذا ينبغي أن يفعل ذاك الذي يحيا لله، ويضع رجاءه فيه؟ يجب عليه أن يحتمل الجهاد، والمتاعب، والآلام من أجل إقتناء الفضيلة بفرح، فهي التي تجعل النفس تتخلص من الشهوات، وتسمو بها إلي أعلى مستوى للفضائل. بيد أن الرجاء في الكمال الروحي، يجب أن يستند إلى الثقة الكاملة، بأن ذلك الكمال يعتمد بالأساس على عطية الروح القدس، ومحبة الله للبشر. لأنه إن سبق وأَعدَ الإنسان نفسه بهذه الطريقة، وتمتع بنعمة الروح القدس الذي آمن به، حينئذٍ سيُجاهد بدون تعب، مزدريًا بخطية العدو الذي لا تربطه به أي علاقة، وقد تحرر من شهواته بنعمة الله.

وكما أنه يوجد مَن أَدخلوا الشهوات الشريرة إلى طبيعتهم، بسبب خمولهم في ممارسة الأمور الحسنة، وعاشوا بفرح وسط هذه الشهوات وهم يرتكبونها بسهولة، بل ويَسعَدون بها كما لو كانت لذة فطرية طبيعية فيهم وإمتياز خاص بهم، ويَسعَدوا أيضًا بالحسد، والزنا، وكل الحماقات الأخرى التي للشرور المضادة لعمل النعمة، هكذا أيضًا على

الجانب الآخر، هناك العاملون مع المسيح السالكون في طريق الحق، هؤلاء بقدر إيمانهم، بقدر قبولهم المتاعب من أجل إقتناء الفضيلة. لذلك سينالوا الخيرات السمائية التي يُعطيها الروح القدس، فرحين بتمتع لا يُعبَّر عنه، ويعملون بدون تعب، وبمحبة نقية غير متزعزعة، وبإيمان ثابت، وسلام راسخ، وصلاح حقيقي، وبكل الأمور الآخرى التي بها تصبح النفس أفضل وأقوى من شرور العدو. وهكذا تصبح مسكنًا نقيًا للروح القدس. بسبب هذا ينال الإنسان سلام المسيح الدائم، وبهذه الفضيلة (النقاوة)، يتحد بالله، وبعدما ينال نعمة الروح القدس، ويلتصق بالله، ويصير روح واحد معه، لا يُمارس فقط أعمال الفضيلة، بل يمارسها بكل سهولة، دون أن يتعب أبدًا في مواجهة العدو، طالما أن الفضيلة تسمو على مكائده. لكن الأسمى والأعظم من كل شيء، أنها تحمل آلام المسيح، وتسعد بهذه الآلام، أكثر مما يسعد به عشاق هذه الحياة الحاضرة من كرامات، وأمجاد دنيوية فانية، ومن تلك الرتب التي يقدمها البشر بعضهم لبعض.

لأنه بالنسبة للمسيحي الذي تقدَّم في حياة الفضيلة، بواسطة نعمة الروح القدس، فإنه على قياس هذه النعمة التي أُعطيت له، يعتبر المجد، والتنعم، والسعادة الروحية التي هي أعظم من أي شهوة، تتجلى في أن ينزع البغضة من داخله، بسبب محبته للمسيح، ويحتمل كل إهانة، وكل خزي، بسبب إيمانه بالله. وعندما يضع الإنسان المسيحي رجاءه كله في القيامة، وفي نوال خيرات الدهر الآتي، فأية إهانة، إيًا كانت، تُوجه له، بل وكل العذابات، والإضطهادات، والآلام الآخرى التي تصل به حتى إلى الصليب، يعتبرها تنعمًا، وراحة، وضمانة لنوال الكنوز السماوية، لأن رب المجد يقول: " طُوبَى لَكُمْ إِذَا عَيَّرُوكُمْ وَطَرَدُوكُمْ وَقَالُوا عَلَيْكُمْ كُلَّ كَلِمَةٍ شِرِّيرَةٍ، مِنْ أَجْلِي، كَاذِبِينَ.افْرَحُوا وَتَهَلَّلُوا، لأَنَّ أَجْرَكُمْ عَظِيمٌ فِي السَّمَاوَاتِ"[113]. وأيضًا يقول الرسول بولس: " وَلَيْسَ ذلِكَ فَقَطْ، بَلْ نَفْتَخِرُ أَيْضًا فِي الضِّيقَاتِ"[114]. وفي موضع آخر يقول: " فَبِكُلِّ سُرُورٍ أَفْتَخِرُ بِالْحَرِيِّ فِي ضَعَفَاتِي، لِكَيْ تَحِلَّ عَلَيَّ قُوَّةُ الْمَسِيحِ. لِذلِكَ أُسَرُّ بِالضَّعَفَاتِ وَالشَّتَائِمِ

---

[113] مت٥:١١.١٢، لو٦:٢٢.٢٣.

[114] رو٥:٣.

وَالضَّرُورَاتِ وَالاضْطِهَادَاتِ وَالضِّيقَاتِ لأَجْلِ الْمَسِيحِ. لأَنِّي حِينَمَا أَنَا ضَعِيفٌ فَحِينَئِذٍ أَنَا قَوِيٌّ"[١١٥]، وأيضًا يقول: " بَلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ نُظْهِرُ أَنْفُسَنَا كَخُدَّامِ اللهِ:فِي صَبْرٍ كَثِيرٍ،فِي شَدَائِدَ،فِي ضَرُورَاتٍ،فِي ضِيقَاتٍ"[١١٦]. لأن نعمة الروح القدس هذه، بعدما تسود على كل النفس، وتملأها بالفرح والقوة، تجعل الآم الرب داخل النفس، مُفرحة، وتُزيل الإحساس باللذة المؤقته، بواسطة رجاء الحياة الأبدية.

تحمّل الآلام:

إذًا لأنكم مهيَّئين لأن تسموا إلى أعلى مكانة من القوة والمجد بمعونة الروح القدس، لذلك ينبغي أن تنظموا حياتكم على هذا النحو، أي أن تحتملوا كل تعب، وكل أَلم، وكل جهاد، بفرح، حتى تكونوا مستحقين لعطية الروح القدس، وتكونوا ورثة مع المسيح. ينبغي ألا يسود عليكم أي إفتخار، ولا يُعجّزكم الخمول، حتى لا تسقطوا. أيضًا لا تعطوا للآخرين دافعًا وسببًا لكي يخطئوا، بل إن كان هناك البعض ممن لا يملكون بعد القوة

---

[١١٥] ٢كو١٢:٩،١٠.

[١١٦] ٢كو٦:٤.

للصلاة التامة، ولا الغيرة، ولازالوا متآخرين في تتميم هذه الفضيلة، فليمارسوا فضيلة الطاعة على قدر طاقتهم في الجوانب الآخرى. فليخدموا بفرح، ونية صادقة، وليعملوا بغيرة وحماس، ليس سعيًا في طلب الكرامة كمكافأة، ولا طلبًا للمجد الإنساني. ولا تتراجعوا عن الجهاد الروحي، بسبب الضعف أو الكسل، ولا كمن يخدم أجساد ونفوس غريبة، بل لتفكروا بأنكم تخدمون عبيد المسيح، تخدمون أحشاءكم، حتى يبدو عملكم طاهرًا ونقيًا في عيني الرب.

ويجب ألا يتحجج أحد وهو مُقبل على ممارسة الأعمال الصالحة، بأنه من المستحيل أن يُمارس أو يؤدي تلك الأعمال التي تخلِّص النفس، لأن الله لا يأمر عبيده بشيء مستحيل. فقد أظهر محبة فائقة وغنية للجميع، وأعلن عن صلاحه الإلهي، حتى أنه أعطى الإمكانية لكل أحد - إن أراد - أن يُمارس أعمال الخير والبر بالآخرين، ولن يحرم أحد ممن يَعتنون بخلاص نفوسهم من نوال الخلاص: " مَنْ

سَقَى أَحَدَ هؤُلاَءِ الصِّغَارِ كَأْسَ مَاءٍ بَارِدٍ فَقَطْ بِاسْمِ تِلْمِيذٍ، فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لاَ يُضِيعُ أَجْرَهُ"[١١٧].

وهل هناك ما هو أقوى وأفضل من هذه الوصية؟ كأس ماء بارد، يُكافأ بأَجر في ملكوت السموات. لاحظ أن محبة الله للبشر، هي محبة لا حدود لها: " بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ، فَبِي فَعَلْتُم"[١١٨].

يقول إن ما طلبته منك بسيط وقليل، لكن الربح الذي يأتي بسبب طاعتك كبير، وسأعوضك عنه الكثير. فهو لم يطلب منك شيئًا فوق إمكانياتك وطاقتك، بل سواء قدمت شيئًا قليلاً أم كثيرًا، فسيتبع ذلك الحصول على أجر، بحسب رغبتك في فعل الخير. فإن أقدمت على فعل الخير في إسم الله، وسلكت في مخافته، فسيُغدق عليك من عطاياه، وهي عطايا مشرقة وظاهرة. أما إن فعلت ذلك بهدف الظهور أمام الناس، أنك تفعل الخير، وترغب في أن تنال المجد منهم، فإسمع ماذا يقول الرب لك، وبقسم

---

[١١٧] مت ١٠:٤٢، مر ٩:٤١.

[١١٨] مت ٢٥:٤٠.

" اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدِ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ! "[١١٩]. وحتى لا نُعاني نحن أيضًا من هذا المصير، فإنه يوصي تلاميذه، ومن خلالهم يوصينا نحن أيضًا قائلاً: "اِحْتَرِزُوا مِنْ أَنْ تَصْنَعُوا صَدَقَتَكُمْ قُدَّامَ النَّاسِ لِكَيْ يَنْظُرُوكُمْ، وَإِلاَّ فَلَيْسَ لَكُمْ أَجْرٌ عِنْدَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ"[١٢٠].

هكذا يوصينا أن نتحول عن أولئك المائتين، ونتجنب المديح الذي يأتي منهم، والمجد الذي يزول ويُمحىَ، ونطلب فقط ذلك المجد الذي لا نستطيع أن نصف جماله، والذي لا ينتهي. بهذا نسطيع أن نمجد الآب والإبن والروح القدس، الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور آمين.

---

[١١٩] مت ٦:٢، ٦:٥، ٦:١٦.

[١٢٠] مت٦:١.

فهرس لبعض الكلمات الواردة بالنص

(أ)

اجر,..... ٥٨, ٨٤, ٨٥

إختيار,..... ٧٤

إرادة,..... ٢٢, ٢٩, ٣١, ٣٢

أسم,..... ٢, ٨٤

إعلان,..... ١٥, ٦٨

أعمال,..... ١٠, ٣٨, ٤٥, ٥٦, ٧٠, ٧٥, ٨٠, ٨٣

إفتخار,..... ٨٢

أفكار,..... ٢٤

إقتناء,..... ٧٢, ٧٩, ٨٠

التقوى,..... ٢٥, ٢٩, ٤٣, ٥٣, ٦٧, ٧٣

الْجَعَالَةَ,..... ٣٠

الجمال,..... ٢٩

الروح,..... ٧, ١١, ٢٣, ٢٤, ٢٦, ٢٧, ٢٩, ٣٠, ٣٣, ٤١, ٤٣, ٤٥, ٤٧, ٤٨, ٥٠, ٥٢, ٦١, ٦٥, ٧٠, ٧٢, ٧٣, ٧٤, ٧٦, ٧٧, ٧٨, ٧٩, ٨٠, ٨١, ٨٢

الكمال,..... ١٠, ١١, ١٢, ١٣, ١٨, ١٩, ٢٨, ٣٢, ٤٦, ٥٥, ٦١, ٧٩

الناموس,..... ٢٧, ٦٣

النعمة,..... ٢٤, ٢٦, ٣٠, ٣٢, ٥٠, ٧٦, ٧٩, ٨١

(ب)

بذل,..... ٧٨

(ت)

تاج,..... ٤٨

تُرس,..... ٥٢

تعليم,..... ٢٨, ٧٦

تنعم,..... ٨١

توجّه,..... ٢١

(ث)

ثَالِبِينَ,..... ٤٠

ثبات,..... ٥٠

ثمار,..... ٢٦, ٤٣, ٤٤, ٤٥, ٧٧

ثمر,..... ٧٦

(ج)

جسد,..... ١٢
جهاد,..... ١٣, ٢٣, ٢٧,
٢٩, ٤٥, ٥٦, ٧٧, ٨٢
جهد,..... ٦٤

(ح)

حفظ,..... ١٤, ١٦, ٣٢, ٤٢
حكم,..... ٤١
حكمة,..... ٤٦, ٧٢
حياة,..... ٩, ١٠, ١٧, ٣٤,
٤٠, ٥١, ٦٢, ٧٥, ٨١

(خ)

خزي,..... ٣٩, ٨١
خطية,..... ٣٥
خلاص,..... ١٧
خليقة,..... ١٧, ٥١
خمول,..... ٧٦
خوف,..... ٤٣

(د)

دالة,..... ١٢, ٣٤
دعوة,..... ٦٣
دواء,..... ٥٠, ٦١

(ذ)

ذَبِيحَةً,..... ٢٥
ذِهْنٍ,..... ٤٠

(ر)

رجاء,..... ٤٧
رِجْسٌ,..... ٤١
رَحْمَةٍ,..... ٤١
رغبة,..... ٧٨
روح,..... ١١, ٤٧, ٦٥, ٨٠

(س)

سر,..... ١٢
سلام,..... ٥٠, ٨٠
سهام,..... ٤٣, ٥٢

(ش)

شر,..... ٥١

شرور,..... ٢١, ٢٥, ٨٠
شهوة,..... ٢١, ٣٦, ٥٠, ٨١
شوائب,..... ٤٥

(ص)

صلاة,..... ٧٤

(ط)

طاعة,..... ٢٥
طريق,..... ١٩, ٢٥,
٣٢, ٣٤, ٤٣, ٥٣, ٥٨, ٧٠,
٧٤, ٧٧, ٨٠
طريقة,..... ٤٣, ٦٧

(ظ)

ظلمة,..... ٤٤

(ع)

عمل,..... ٦, ٧, ٩,
١٢, ٢١, ٣٠, ٣٧, ٤٧, ٧٥,
٧٦, ٧٧

(غ)

غيرة,..... ٧٥

(ف)

فحص,..... ٦٧
فخاخ,..... ٥٢
فرح,..... ٧٨
فضيلة,..... ٢٨, ٥٦,
٦١, ٦٧, ٨٠, ٨٣
فكر,..... ٢٤, ٤٥, ٧٦, ٧٨
فهم,..... ٩, ٤١

(ق)

قدرة,..... ٦١
قوة,..... ٢٥, ٣١, ٤١,
٧٠, ٧٥, ٧٧, ٨١

(ل)

لغة,..... ٣٦
لوم,..... ١٤, ٢٥,
٢٦, ٤٢, ٥١, ٥٣

(م)

مجد,..... ٣٨, ٤٧, ٥٧, ٥٨, ٦٨

محبة,..... ١٧, ١٨, ١٩, ٢٠, ٢١, ٤٨, ٤٩, ٥٦, ٦٣, ٦٧, ٧٠, ٧٢, ٧٤, ٨٣, ٨٤

مخافة,..... ٥٥, ٥٦, ٦٣, ٦٨, ٦٩

مديح,..... ١٠, ٣٧

مسيرة,..... ١٩, ٢٤, ٥٣

مشقة,..... ٥٤

مصدر,..... ٤٥

معرفة,..... ١٥, ١٧, ٢٠, ٢٢, ٦٣

معونة,..... ٣١

مكافأة,..... ٦٠

مَكْرَهَةْ,..... ٤١

مَكِيدَةِ,..... ٢٨

مِلْءِ,..... ١٦, ١٨, ٢٨, ٤٨

ملذات,..... ٢١, ٣٢

ملكوت,..... ٢٩, ٦٥, ٦٦, ٧٢, ٨٤

موضع,..... ٢٤, ٢٨, ٣٢, ٣٣, ٥١, ٥٢, ٥٤, ٦٢, ٧٢, ٨١

(ن)

نُبُوَّةٌ,..... ٤٨

نعمة,..... ١٨, ٢٤, ٢٧, ٢٩, ٣٠, ٤٣, ٤٥, ٥٠, ٥٢, ٥٥, ٨٠, ٨١

نفس,..... ٣٠, ٣٦, ٤٠, ٤٤, ٤٨, ٦١

نمو,..... ١٩

نهاية,..... ١٩, ٥٠, ٥٦

نور,..... ٢٢, ٤٤

(هـ)

هبة,..... ٤٧

هدف,..... ١٣, ٢٣, ٣٤, ٤٦, ٥٣, ٥٧, ٧٣

هيكل,..... ٤٢

(و)

ورثة,..... ٨٢

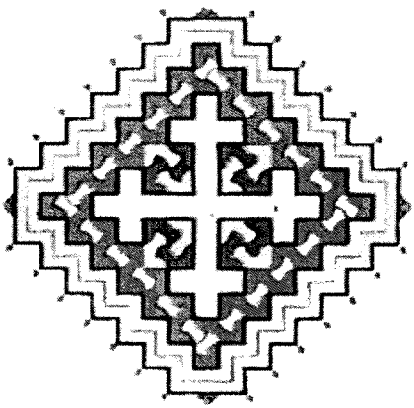

أولئك الذين يعرفون كيف يستخدمون الحكمة بإستقامة، ويحررون أنفسهم من وصمات الخطية، ينبغي أن يعرفوا هدف الحكمة بدقة. وهكذا عندما يتعلمون مشقة المسيرة ونهاية الطريق، يرفضون الحماقات والأفكار التي تعلو على إمكانياتهم. وبعدما ينكرون ذواتهم بحسب وصية الكتاب، بل وحياتهم أيضًا، فإنهم سيتجهون نحو الغنى الحقيقي الذي عيّنه الله كمكافأة من أجل محبتهم للمسيح.

• المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية ت: ٢٢٤١٤٠٢٣.
E-mail: opcc2007@yahoo.com Website: www.patristiccairo.com

سعر النسخة
١٦,٠٠ جنيه